دار العلوم للنشر - القاهرة
Dar Al Oloum Publishing - CAIRO

صعود الوردة البيضاء



مجموعة قصصية

د. حسام صبري

صعود

الوردة البيضاء

صبري/ حسام

صعود الوردة البيضاء (المجموعة القصصية)/ تأليف :

د. حسام صبري

ط١ـ القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩

١٦٠ص، ٢٤سم .

تدمك : ١ـ٢٢٢ـ٣٨٠ـ٩٧٧

١ — العنوان

أ ـ

رقم الإيداع: ٢٨٤٤ / ٢٠٠٩

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م



الناشر

دار العلوم للنشر والتوزيع - القاهرة

هاتف : ٢٥٧٦١٤٠٠(٠٠٢٠٢) فاكس: ٢٥٧٩٩٩٠٧(٠٠٢٠٢)

الموقع الإلكتروني: www.dareloloom.com

البريد الإلكتروني : daralaloom@hotmail.com

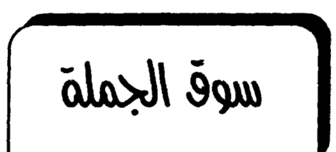
daralaloom2002@yahoo.com

المجموعة القصصية

(صعود الوردة البيضاء)

تأليف

د. حسام صبري


سوق الجملة

سوق الجملة سوق خضار الجملة الكبير له بابان كبيران يصل بينهما سور عالٍ.. يعتبران المنفذ الرئيسي له..

أحدهما عند المدخل الشرقي يطل على (شونة)الحاج/ عبد الرحيم من الداخل ويشرف من الخارج على المخبز الآلي وسوق السمك ومنه إلى موقف سيارات الأجرة..

أما الآخر فيطل مباشرة على الطريق السريع حيث تخرج منه البضاعة إلى تجار الأرياف والمناطق المتطرفة وعربات تجار الطريق محملة على سيارات الربع والنصف نقل..

أو تأتى إليه السيارات الثقيلة تجر مقطورة أو اثنتين.. مكدسة بالأقفاص أو الزكائب.. قادمة من مزارع الخضار وحدائق الفاكهة رأسًا..

أما الحاج/ عبد الرحيم فله وضع خاص... لأن نصف مبيعاته على الأقل لا يشتريها.. وإنما تأتى من مزارعه الخاصة فهو تاجر وصاحب أطيان قديم ورث أغلبها من والده الحاج (نصار) الذي اختاره التجار ليمثلهم في الاتحاد الاشتراكي واستطاع أن يسلم على الرئيس (جمال) شخصيًا..

ورث الحاج عبد الرحيم مزارع ومتاجر والده لكنه لم يرث أية ميول سياسية وإن كان لا يتأخر عن تقديم يد العون أو أن يكون حكَمًا في أي نزاع إذا ما طلب منه..

وكم من مرة قام بنفسه بفض مشاجرة بين تاجرين أو تاجر و(سريح). . . فضلاً عن أنه يسعر البضائع أولاً فيسرى قراره على الجميع. . . بخلاف (أبو آية) الذي يعقد صفقاته بجوار سور السوق ويفضل أن تتلف بضاعته على أن يبيعها بسعر رخيص. .

لكن الدنيا دارت واغتنى الكثير من التجار واختلطت الأسماء وجاء من الأقاليم البعيدة الكثير من عينة (أبو آية). . كما كبر السوق وتعددت مداخله غير أن البابين الرئيسيين احتفظا بمكانتهما. . وكذلك كلمة الحاج (عبد الرحيم)، ظلت الأولى؛ لا بسبب عدد أبنائه وأقاربه الكبير في السوق فحسب وإنما والأهم أعماله الخيرية من مساعدات للأيتام والأرامل إلى تخصيص أجزاء من أرضه لإنشاء مستوصف صحي إلى اهتمامه بأي شاب يطلب الرزق الحلال. . عنده أو في أي مكان آخر؛ مما جعل الكثيرين يلحون عليه بالتقدم لعضوية مجلس الشعب. .

وكان دائمًا يكرر:

- لست رجل سياسة. .

مع أنه تعامل مع أغلب أجهزة الدولة. . من مباحث مرور، لأمن غذائي، لضرائب وخلافه، وحتى مباحث أمن الدولة. .

. . . .

- الدنيا سوق كبير. .

- تعني الدنيا سوق (خضار) كبير. .

ها ها ها . .

حقًا ستجد في هذا السوق نموذجًا لجميع الشخصيات في الحياة . . الانتهازي والكريم . . العنيف والمسالم وجميع أشكال الرحمة ومشاكل على مستوى السوق تمثل مشاكل الدول والحدود والأقليات وحتى مشاكل اختلاط الأجناس واختلاف اللغات . .

الحياة سوق كبير . .

ـ آسف . . فتشبيهك هذا مكرر بالنسبة لي . . كنا في الجامعة نقول دائمًا : الحياة . .

جامعة كبيرة . . وفي الجيش كم سمعنا عنه نفس التعبير، حتى حين تم تثبيتي بمصلحة التموين سمعت الكلمات من مدير المصلحة في أول يوم لي : إذا نجحت في العمل فأنت إنسان ناجح في حياتك . .

وفي السيرك والمسرح تراهم يدعون أن الدنيا مسرح كبير . .

والشاعر المغمور يقول عن شعره إن الدنيا قصيدة كهذه لكنها كبيرة . .

حتى إني أتساءل : ماذا بقي للدنيا؟

تجاهل الحاج كل هذا الدفاع وببساطة غير مجرى الحوار متحدثًا عن الغلاء وأن الناس مسئولة عنه وحين استوضحته أجاب :

ـ هل هو مسئولية الناس بسبب كثرة الذنوب كما يقول الشيخ (حلمي)، أم أن الحكومة وغرفة التجارة التي لا تحمى أي مستهلك هي

السبب، أم أنه شر يراد بنا من الخارج بسبب اتفاقية الجات وانفتاح الأسواق وليس لأي منا ذنب فيه . . ؟

ثم ارتسمت على وجهه ملامح جد ممزوجة بابتسامة راضية وصاح على صبيانه فجاءه بسرعة وَلَدَان فتيَّان . . أخبرهما بكلمات مقتضبة أن يبيعا حمولة السيارتين القفص بخمسة وعشرين . .

ـ لكنك . . لن تكسب شيئًا . .

ـ يا سيدي . . اعتبرها صدقة على روح جدك الحاج (نصار) الله يرحمه . .

ـ فليكن . . ما تراه يا والدي . .

ثم يفترقان . . كل واحد عند باب من أبواب السوق . .

نستطيع بسهولة أن نرى الأول الواقف وهو يصيح بحماس كأنه يغنى :

ـ القفص خمسة وعشرين . .

اجتمع الناس حول السيارة لكن واحدًا منهم قاطع الشاب المتحمس بصوت رفيع طغى عليه :

ـ بخمسة وعشرين . . أكيد معيوبة . .

وانصرف . . وانصرف معه الناس . .

. . على الباب الآخر . . حين رأى الفتى عدم اهتمام أحد بندائه الذي لم يكن متحمسًا له أساسًا . . انتظر بضع دقائق حتى تغير الخلق . .

ثم صاح بصوت جهوري:

ـ بخمسة وسبعين

الفاخر.. للفاخر..

مانجو الحاج (عبد الرحيم نصار)

درجة أولى.. تصدير

من غير كذب ولا حلفان..

الفاخر بخمسة وسبعين..

وفي لحظات كانت حمولة السيارة كلها قد بيعت..

أما السيارة الأولى فقد دارت حول السوق ودخلت من سوق السمك كي تقف بجوار الأولى وتباع في لحظات.. أيضًا بخمسة وسبعين..

(انتهى)


صعود الوردة
البيضاء

صعود الوردة البيضاء

قررت أن أتسلق الوردة البيضاء . .

و بدأت من أول النهار . . كأني مسافر يريد أن يبتعد عن شمس الظهيرة قدر الإمكان . .

ولم أكن أدرى أن جذور الوردة تظهر بهذا الارتفاع عن الأرض، تمامًا كشجرة عملاقة تمتد جذورها في كبرياء أمام الجميع قبل أن تخترق الأرض وتتشعب، كنت أرى نهاية ساق الوردة العريضة وقد تشعبت منها الجذور كأنها جذع شجرة مقلوبة تنغرس فروعه العارية في الأرض.

وعند جزء فارغ أشبه بكهف مظلم أسفل أحد الجذور أطلت دودة أرض لها ألوان غامقة تدور حول البني والرمادي . . ولا أنكر أنها أثارت فزعي بحجمها الذي تعدى حجم ثعبان الأناكوندة العملاق وظهورها المفاجئ تحت الجذر الذي نويت أن يكون أول خطوة لي على سلم تسلق الوردة . .

لقد بدأت الأحداث مبكرًا جدًا . . هذا خطر لم يكن في الحسبان . . يظهر أمامي قبل حتى أن أضع لي قدمًا واحدة فوق الوردة . .

وفيما أنا أحاول الابتعاد بحركة بطيئة جدًا؛ كى لا أثيرها انقض عليها طائر عملاق وبمنقاره العظيم الأشبه برافعة ميكانيكية عملاقة ذات شطرين . . أطبق بهما على الدودة وانتزعها من كهفها معاودا تحليقه بسرعة . . حتى إني لم أميز : هل هو هدهد أم غراب أم طائر آخر . . .

لكن هذه الحادثة السريعة تركت دمارًا كبيرًا فالعديد من الأشياء الآن تتساقط بهدوء حولي . .

ورقة مثل سفينة عارية من الأشرعة تتهادى سابحة في الجو يمينًا ويسارًا ثم تستقر أمامي بحجمها الكبير . .

وريشة ضالة خلفها الطائر وقعت بعيدًا عني . .

والعديد من ذرات التراب الأشبه بحجارة خفيفة غير مؤذية . .

وأيضًا العديد من قطرات المياه مجهولة المصدر كانت كلها ـ لحسن حظي ـ بعيدة عني . .

حتى فتحة الكهف تناثرت بأجزاء كبيرة من الطين الذي تشبه حبيباته كرات الثلج العملاقة بالقطب الجنوبي لكنها كرات سوداء باهتة لدنة . . كأنها قطع فنية مشكلة من الصلصال الصناعي . . ولم تصبني كرة واحدة منها . .

انحنيت أراجع أفكاري وقد طغى صوت العصافير العالي على الفوضى وكأن هذا الطائر استدعى معه فريقًا كاملاً من العصافير النشطة . . لكنها بعيدة عني تمامًا . .

هل أبدأ ما انتويت؟

هل أتسلق الوردة؟

وقد حدث كل هذا وأنا لم أبدأ بعد . .

أم أريح نفسي وأعود لحياتي الطبيعية . .

لكني قررت أن أتسلقها . . وسوف أفعل . .

صحيح أن الطريق الآن مسدود بورقة ضخمة . لكن من قال إن هذا هو الطريق الوحيد . .

فلأدر حولها لأنتقي جذراً آخر أستطيع أن أعتليه . .

ها هو . . هذا جيد جداً . .

بل إنه أفضل من نهاية الجذر الأول . .

إنه ينحني في هدوء قائداً إلى ساق الوردة فأستطيع أن أطلع عليه كأنه منحدر شديد . . أما الأول فكان مقطوعًا كالجرف يحتاج جهداً كي أتسلقه ومجهوداً كي أصل للساق . .

إذا ما حدث لي في بداية المغامرة كان أمراً طيبًا وإن بدا عكس ذلك حينها . . و هاأنا أرى للرحلة صورة مختلفة الآن . . فأنا أتوقع الخطر الآن كل لحظة وهذا إحساس ممتع كأني أقرأ رواية مغامرات لا أدرى ماذا سيحدث فيها للبطل . .

وأنا الآن بطل الرواية . . فلأعش مع زهرتي فصولها ولا أعتقد أن خطراً سألاقى أعظم مما لاقيت . وبخطوات رشيقة وقفزات بارعة صعدت فوق نهاية الجذر ومنه إلى الساق . .

تدرج الألوان هذا مذهل . . هاأنا أدخل على الأخضر الغامق جداً وأترك لون الجذور . . وفي نشاط غرست بلطتي في الساق لأول مرة . .

. . . .

حواسي كلها تعمل بانسجام مع الطبيعة من حولي وكأنها مضبوطة الآن على أعلى قدرة. . .

فمع ضربة البلطة القوية تناثرت رائحة مميزة مصحوبة بسائل ثقيل قليلاً برز من الشق الصغير الذي خلفته البلطة بعد أن اعتمدت عليها ونزعتها لأغرسها في مكان أعلى وقدمي تعتمد على بروزات عديدة وهكذا بتكرار بسيط أرتفع بسهولة . .

ربما هذه هي رائحة عصارة الساق. . لكنى لا أعتقد أن هذا الخدش البسيط وصل لأنابيب العصارة في جوف الساق إن ضربتي مجرد خدش للقشرة الخارجية للساق. . وبعد أن ارتفعت قليلا بدأت أهداب كثيرة في الظهور على سطح الساق. . كلما ارتفعت ازداد عددها وسمكها حتى إني أصبحت أمسكها وأتسلقها هي بيدي معتمداً على ساق الوردة بقدمي فقط كأنها حبال خضراء متدلية من أعلى. .

و لدهشتي. . كانت الأصوات تختلف بشدة من مكان لآخر وكأن رجع الأصوات أو ظاهرة الرنين تعمل هنا بكفاءة عالية إذ أجد أحيانا صوت العصافير كما كان في البداية عاليًا جدًا يكاد يكون مزعج ثم أجده يهدأ أحيانًا ليتغلب عليه صوت احتكاكات الورود والأوراق المجاورة لبعضها. .

أما وردتي فكانت مميزة. . وكأنها ملكة بين الورود. . أقرب وردة لها

أقل منها حجمًا وطولاً ولا تكاد تلمسها كأنها سيدة الورود التي يعتبر لمس ساقها فقط شرف كبير . .

وهكذا استغرقني الصعود على هذه الأهداب التي لم أكن أعرف وجودها . .

إننا حين نقرر السير ونبدأ فإننا كما نواجه مصاعب نلاقي أيضًا وسائل تسهل علينا الوصول لم نكن نتوقعها . .

كنت كلما انتهى أحد هذه الأهداب ووصلت لنهايته الخارجة من الساق أقبض على حبل آخر وأرتفع في تسلقي وهكذا حتى وجدت سقفًا أخضرًا كبيرًا يسد على السماء ويلتحم بالساق كأنه سقف بناية عال ظهر لي فجأة ولم أكن أتوقعه . .

فتوقفت عن التسلق وأنا أتأمله من زاويتي العسيرة وأحاول أن أميز هذا السقف الذي ـ لا شك ـ هو جزء من ساق وردتي الجميلة . .

أدركت أنه عنق الورقة الذي يربطها بالساق لكنه منحن بزاوية حادة جدًا يصعب التعامل معها . .

وهكذا واصلت تقدمي بالعرض . . أي أنى لا أرتفع حتى وصلت لنهاية هذا السقف فقمت بتسلقه كأنه سور أخضر يلتصق بالساق وحين اعتليته كان مشهد الورقة رائعًا . .

احتلت مساحة كبيرة جدًا تشقها طرق معبدة تلعب في درجات اللون الأخضر كلها . .

ثمة قنوات من المياه لا تظهر للعين العادية تسير في إحدى طبقات الورقة وتبدو لي واضحة كأنها مياه جوفية تكفل الغذاء لجميع أجزاء الورقة، أما العنق الذي كان يشكل ذلك السقف المانع والذي أقف فوقه الآن فهو طريق منزلق أشبه بزحليقة عملاقة للأطفال . .

لم أتمكن من منع نفسي من الانزلاق فوقها وقادتني بسهولة إلى تفريعات الورقة وكنت كلما ضغطت بقدمي عليها أخرجت سائلاً خفيفًا له لون أخضر فاتح وكأنها إسفنجة لا تحتمل ضغطة قدمي . . أما أنا فلنعومتها ورقتها كنت كأني أسير على الهواء . . وبدلا من العودة إلى العنق ومنه إلى الساق لمواصلة الصعود . .

قررت أن أقفز إلى الورقة الأخرى التي تعتلي ورقتي وتتهدل بزاوية عمودية فتكاد تلامسها . .

وأنجح في التعلق بها وتسلقها . . ولدهشتي، أشعر بحركة منتظمة لها ليست ناتجة عن الرياح أو أي عامل خارجي . .

وبالتركيز قليلاً أدركت أنها تواجه الشمس وتتحرك بالنسبة لي حركة عملاقة كي تحصل على أكبر قدر من أشعة الحياة . .

تلك الأشعة التي بدأت تشعرني بحرارة الجو . . وبالعطش . .

وقبل أن أفكر في كيفية الحصول على المياه، فأنا لذكائي . . لم أحمل معي زادًا ولا شرابًا إذ اعتقدت أن تسلق الوردة لن يستغرق ساعات معدودات . . لكن النهار قد انتصف ولم أصل إلا إلى ثاني ورقة وأعتقد أن ما تبقى أكثر بمراحل مما تسلقته . .

وتفزعني ضجة عظيمة تأتي من ناحية اليسار فألتفت لأرى الورود بأحجامها الهائلة تميل وتهتز وأرى مخلوقًا كبيرًا كفيل عملاق يخترق أجزاء الورود . .

إنها قطة مفزوعة . . لكن من ماذا؟

لا أرى خطرًا خلفها . . وتشبثت بالورقة محاولاً أن لا أنزلق عليها فأقع على الأرض مضيعًا مجهود النهار إن لم أصب بكسر أو خلافه . .

ولحظي . . استطعت أن أتماسك رغم حركة الورقة ضمن أجزاء الوردة الأخرى ولولا وضعها العمودي لكان الأمر أسهل بكثير . . لكن ظلاً عاليًا يغمرني وأرى الوردة المجاورة تهبط فوقي كشجرة عظيمة نشروا جزعها للتو . .

أحيانًا تنسينا الأمور الكبار ما نعانيه في حياتنا من ضيق عيش ومشاكل معتادة . . وربما كانت هذه وسيلة فعالة للتسامي على المشاكل الصغيرة . .

وهو ما حدث لي الآن . . لقد نسيت عطشى تمامًا . . وأنا أرى ساق الوردة الجارة الضخم يقع فوقي، وتقترب أوراقها كأنها شفرات عملاقة وأشواكها الصغيرة كأنها رماح موجهة إلى صدري . . فأقفز متفاديًا الموت المؤكد إلى مصير غير معلوم . .

أشعر بالإسفنج الطري والسائل البارد خلف ظهري وأعلى رقبتي وكأني مستلق على سرير بمرتبة هوائية رائعة وأرى الورقة العمودية التي قفزت من فوقها للتو فوقي وساق الوردة الأخرى لم يقع على الأرض لأنه استند على وردتي الكبيرة كجريح يستريح على ذراع أخته الكبرى . .

إنها بعيدة عنى ولم يكن ثمة داع للقفزة . .

إننا أحيانًا نعطى للمخاطر أكبر من حجمها ونبالغ في رد الفعل الذي قد يعرض حياتنا نفسها للخطر، ولولا أن الله سلّم ووقعت على الورقة السابقة لكنت الآن مكسر العظام . .

ومرة أخرى أتذكر العطش . . وأرى قطرة نتح كبيرة بحجم كرة شفافة لا أحتويها بذراعي . .

لم ألحظها من قبل . . ربما هبطت من جزء آخر من الوردة، وربما كانت موجودة لكن لهفتي للصعود عماها عليّ . .

ويكأني إذا لم أقفز هذه القفزة . . لم أكن لأصل لهذه القطرة . ! !

إذن كل خطوة أخطوها مكتوبة عليّ . .

لكن طريقة اختياري تحدد هل هي خير أم غير ذلك . .

فأنا أسعى وأعمل جاهدًا للصعود . . وبالتالي فكل خطواتي تأتي بخير . .

وهكذا انطلقت ناحية القطرة التي كفل لها توترها السطحي هذا الشكل الرائع ولاحظت استقرارها فوق فتحة من فتحات الورقة . .

يبدو أنها قطرة نتح بالفعل . .

اخترقتها بيدي فشعرت ببرودة محببة لكن اختراقاتي هذه قسمتها قطرتين كأنها كائن أولي انقسم ميتوزيًا أمامي .

ملأت يدي من الماء الذي بدا أكثر كثافة قليلاً ونهلت منه، فوجدت طعمه معدنيًا كتلك المياه الطازجة التي نشربها من الآبار الطبيعية مباشرة. . . .

شربت وارتويت ثم نظرت متفحصًا الزوايا كلها كي أقرر الصعود مرة أخرى من ناحية الورقة العمودية فهي أفضل الطرق أمامي. .

أواصل الارتفاع وتسلق عنق الورقة العمودية حتى أصل للساق مرة أخرى. .

لكن هذه المسافة من الارتفاع صنعت في الساق فروقًا كبيرة. . فاللون قد اختلف وامتزج بلون أحمر خفيف مثل الأحمر في قوس قزح مع بعض أطراف الأهداب التي قادتني إلى فتحات في الساق بدأت تكبر كلما ارتفعت وكأنها كهوف صغيرة وفي إحداها وجدت مخلوقًا كبيرًا له صدفة سوداء عظيمة. . ربما كانت سوسة أو حشرة من أي نوع تقطن هذا المكان. .

هل أتركها هنا تؤذي الوردة وتمتص عصارتها؟

أم أحاربها وأطهر الوردة منها؟

لكنها صغيرة جدًا جدًا. . بالنسبة للوردة، فماذا ستحدث من ضرر؟

لكن الحجم لا يعبر بالضرورة عن قوة الشيء. . إن الفيروس لا يرى إلا بالميكروسكوب الإلكتروني وهو كفيل بإهلاك الإنسان. .

يجب أن لا أكون سلبيًا. . لقد اخترقت حدود الوردة وفضحت خصوصيتها كي أثبت أني قادر على تسلقها والوصول لقمتها. . وسمحت هي لي بكل ذلك في رحابة صدر وكرم. .

أيكون ردي عليها أن أتركها تواجه أعداءها وحدها؟

. . يجب أن أعرف على الأقل ما هذا الشيء . .

وهكذا عدت خطوتين ونظرت داخل الفتحة/ الكهف لأجد الصدفة الكبيرة السوداء تتحرك فتكشف عن بطن ذات عدة أرجل . . إنها خنفسة صغيرة تقاربني في الحجم وأسفلها بضعة كتل رمادية اللون كأنها بيض الخنفسة . . أما المكان فكان مبطنًا بحبيبات الطين الكبيرة ودافئًا أكثر من اللازم . .

لا بأس إنها مجرد أم . . تنتظر أن تنجب أبناءها . .

يا لكرم الوردة العظيم . . التي تؤوي كل هذه المخلوقات . .

واصلت ارتفاعي وقد بدأت بعض نهايات الورود الأخرى تظهر وبالتالي بدا المنظور أفضل وتفاصيل الحديقة تنجلي . . لو اخترت هذه الوردة الزرقاء هناك لكنت وصلت لقمتها الآن . . لكني اخترت ملكة الورود . . ويجب أن أمتلك من الصبر والإرادة ما يناسب قدرها ومكانتها . .

لكني رأيت بضعة أطفال عند أطراف الحديقة يتقافزون بصيحات متوترة . . ولا أنكر خوفي من أن تصطدم بالوردة كرة طائشة أو حتى طفل مشاغب فيحدث من المفاسد في الحديقة ما يحدث . .

وقبل أن أحوّل نظري كان طفل شقي يعدو خلف شيء يطير، ربما فراشة أو دبور ملون، وفي حركات غبية يكسر تحت قدميه الأعشاب الطرية ويهدم جذور الورود ويصطدم بسيقانها في غشم وغباء . .

لكنه ـ لفزعي ـ يقترب من وردتي ويمد يده بسرعة قابضًا على الساق ويحاول أن يشدها بعنف . .

فهي الوردة الأكبر والأجمل بين ورود الحديقة . .

كنت أرى الأشواك بمختلف أشكالها وأحجامها وأطوالها تخرج من الساق العظيمة ما بين حراب طويلة أو أهرامات صغيرة أو كبداية عنق ورقة كبير لكنه مدبب ولا يقود إلى ورقة، فكنت أحتار . . لماذا كل هذه الأشواك على امتداد الساق؟

هل يجب أن يحمل هذا الجمال كل هذا الشوك؟!

لكني عرفت قيمته الآن . . لقد صرخ الطفل الشقي صرخة كالرعد ضممت يدي على رأسي لقوتها حين اشتكّت أصابعه ونزلت منها الدماء . .

فبصق بعيداً وجرى يجر خيبته ودموعه ويعتلي صراخه وعويله كأن عقربًا لسعته . .

أحيانًا نحتاج للأشواك أكثر من الرحيق كي نظل أحياء . . .

وأستمر في الصعود مستريحًا بين الفينة والفينة في فتحة من فتحات الساق حتى جن الليل ولم أصل لهدفي بعد . .

لابد من المبيت، ولا أفضل من كهف من كهوف الساق أقضي فيه ليلتي . .

لكني جوعان جداً . . ولأن الجوعان يأكل أي شيء فقد غمست يدي في الأجزاء السائلة اللزجة من أرضية الكهف وحاولت تذوقها، ولدهشتي وفرحتي وجدتها أشهى من العسل . . وكان عشاءً موفقًا لا أنسى حلاوته ما حييت . .

إن طعم الوردة جميل . . لم أكن أتخيل أنني في يوم ما . . سآكل وردة . .

وفي الصباح الباكر واصلت تسلقي . .

وقد اعتادت أطرافي وأقدامي على الحركات وأصبح التسلق عملية آلية لا أفكر في كل حركة، كما صار معدل صعودي أسرع من البداية بكثير . .

وعند جزء منحدر لففت حوله وجدت الساق التي تحمل وردتنا القديمة التي وقعت على وردتي البارحة وقد التصقت بها تمامًا . . ولذهولي وجدت المنطقة التي تستند فيها الساق على ساق وردتي شبه ملتحمة وتخرج منها أنابيب صغيرة حديثة التكوين بخلايا شبه شفافة تنقل سوائل عديدة من وردتي الكريمة إلى الوردة المكسورة . .

يا لها من عملية نقل دم ورود مذهلة . .

إلى هذا الحد يصل التعاون بين المخلوقات؟

لقد ازددت لوردتي حبًا واحترامًا وتقديراً .

ولم أستطع منع فضولي من الاقتراب لرؤية كتلة ضخمة تحملها ورقة مدلاة من الساق المكسورة وتقترب لتستند بدورها على إحدى ورقات وردتي المتعاونة . .

إنها شرنقة لكائن ما . . وهي قوية جداً وتفتقر إلى الرائحة وإلى الألوان الجميلة . . لم أقف عندها . .

و إنما واصلت الصعود . .

كنت قد بدأت الاعتياد على الروائح المتميزة من حولي لكنني أشم الآن رائحة نفاذة غير محببة تثيرني فأعطس . .

وألاحظ ضيق ساق الوردة بها إذ تنقبض محاولة إفراز سوائلها بكثرة كي تقاوم هذه الحبيبات الجديدة التي بدأت تغرقها . .

وأميز رشاشاً بعيداً يحمله رجل أصلع . . يطلق منه هذا المبيد القاتل . .

كي يحمي ـ بزعمه ـ الورود . . تباً له . . ما كل هذا التلوث؟

وابتعد الرجل سريعاً مخلفاً الكثير من هذه المواد الكيماوية التي ظهرت لي على هيئة حبيبات لزجة تلتصق بالمسام فتمنع منها وإليها كل شيء . .

كما أنها جعلت عملية تسلقي عسيرة جداً لأنها ملساء لزقة تدحرجني بسهولة . . وكدت بسببها أن أقع عدة مرات . .

وقفت أستريح والجو اليوم مشجع فلم أر الشمس منذ طلوع النهار . . هل تمطر؟

نعم . . إنها تمطر الآن . . عجباً أنا لم أقض في عملية تسلقي إلى الآن إلا يوماً أو بعض يوم . . والجو البارحة كان حراً قيظاً . . فكيف تمطر الآن؟

لكن المطر لم يقف عند أسئلتي وإنما انهال في نعومة كي تستقبله الوردة بجميع أجزائها . .

ويا له من منظر لن أنساه . .

وأنا أراقب قطرات المطر الكبيرة وهي تتسابق للوصول إلى أجزاء الوردة فتدحرج أمامها الحبيبات البغيضة وتسير في طرقات الساق والأوراق وتنزلق إلى الحواف فتطرد كل الأدران وتبقى أو تقفز معها إلى وردة أخرى، أو قد تمل فتقفز إلى الأرض كي تستقر في نفق أو أسفل جذر أو حتى تستمر في هبوطها إلى الطبقات السفلية التي لا أستطيع تمييزها من مكاني . . . .

أنا في المعتاد أحب الوقوف أسفل الأمطار . . لكن هذه الوقفة أكثر متعة وإثارة، وبسرعة كما بدأ المطر انتهى . .

وظهرت شمس من غير قيظ . . فواصلت ارتفاعي . .

وأخيرًا وصلت إلى قاعدة التاج . . إلى الوريقات المتحورة التي تصنع غلافًا فنيًا متميزًا يحيط بأوراق الوردة نفسها . . إلى القمة . .

ولم أدر كم هو صعب تسلق هذا الجزء، لكن الحافز كان أقوى ما يمكن والروائح العبقة تملأ أنفي وتسير في جسدي وحبي للوردة جعلني مؤمن أنها لن تؤذيني . .

لن تتركني أقع من هذا الارتفاع . .

أنا أحبها وهي تعلم ذلك . .

وهكذا قفزت أخيرًا داخل التاج . .

عند الوريقات البيضاء الناصعة التي تعتلى كأشرعة لسفينة عظيمة . .

لكنها أشرعة حساسة طرية لها رحيق وألوان تتدرج من أسفل لأعلى، يغلبها اللون الأبيض ويحدها عند أقصى أطرافها الأصفر . .

وتتدرج ألوان كقوس قزح عند قاعدتها . .

وتنتشر وريقات صغيرة مع كور ملونة أحسبها أجزاء من البتلات وحبوب اللقاح، أقفز عليها كطفل يمرح في لعبة الكرة بمدينة ترفيهية عالمية . .

يا للجمال والروعة . .

وفجأة . . أسمع صوتًا يعلو ليتحول إلى ضجيج أشبه بصوت الطائرة الهليكوبتر وأرى أمامي مباشرة نحلة عملاقة تفوقني حجمًا عشرات المرات . . .

كنت أحسب أن المخاطر قد انتهت بوصولي تقريبًا للقمة . .

لكن يبدو أن توقع العقبات يجب أن يستمر في عقلي ما دمت حيًا . .

هذا خطر لم أكن أتوقعه وخصوصًا في هذا المكان والزمان . .

لكن عفوًا . .

من قال إن هذا خطر؟

إنها تبتسم . . نعم . . أكاد أقسم أن النحلة تبتسم، كما أن رائحتها حين هبطت جميلة جدًا كأنها تحمل رحيق آلاف الورود . . لدرجة أني لا أدري هل تأخذ هي من الوردة أم تعطيها الرحيق؟

وبسرعة كما هبطت عادت لطيرانها بعد أن حملت على جسمها بضع كريات كبيرة أحسبها حبوب لقاح لتنقلها لوردة أخرى . .

لن أعتبر نفسي وصلت إلا إذا جلست فوق هذه الورقة المطوية في مركز أوراق التاج والتي أراها أعلى نقطة للوردة . .

وهكذا ظللت أرتفع وأنخفض وسط الأشرعة العملاقة والكريات العديدة والعسل الذي يسيل في الكثير من الحواف والجوانب وقطرات ندى أو مطر تشبه قطرات النتح على الأوراق الخضراء . .

وفجأة اقترب ظل كبير . . ويا له من يوم . . فمن يا ترى يقترب مني الآن؟!

هذا الوجه الملائكي الرائع يقترب من تاج الوردة وتحتضن طفلة جميلة بكفيها الوريقات وأجزاء من أعلى الساق . . ويا للعجب . . إن الأشواك تنحني فلا تؤذيها وكأنها تعرف العدو من الصديق الحبيب . .

وأختبئ بين ثنايا الأوراق غارقًا في الرحيق والعسل الناصع كي لا تراني الفتاة فتفزع . .

لكنها تكتفي بشمة عميقة تحمل ما تيسر من رحيق الوردة وجزيئاتها المتناثرة إلى رئتيها لتسري مع دمائها حمرة وردية تظهر للحظتها في خدودها البيضاء . .

يا لها من علاقة خاصة رائعة بين وردتي الفاتنة ووجه الطفلة الجميل . .

وأضطجع كأمير الزمان على الورقة الملفوفة أعلى أوراق الوردة مراقبًا السماء وقد ظهرت لي الأشياء كلها بمنظور واضح . .

ويكأني كلما ارتفعت في سعيي وجهدي، تكشفت لي حقائق الحديقة وتفاصيلها . .

حتى ظهرت الآن واضحة لا غبش فيها ولا غمام . .

وأود لو يقف الزمان . . ولا يتحرك . .

أو أن الزمان قد توقف بالفعل . . وأنا مندمج بجزيئات الوردة وتفاصيلها . . بل بالكون كله . .

أنا الآن جزء من الحياة . .

وفي نفس اللحظة خرجت الفراشة من شرنقتها وطارت أمامي فخطفتني ألوانها . . التي تقترب من ألوان وردتي . . كأنها أخذت منها مادة الأساس، ثم قامت بإعادة تشكيلها كي تخرج لنا أجنحة مميزة . .

وأشعر أني طائر مثلها لا تقيدني جاذبية، وبالفعل إن الجاذبية في هذه المنطقة تكاد تنعدم . .

شعور بالتسامي ما أحلاه . .

وما أحلى الوردة البيضاء . .

تضمني وأرتفع بها . .

وأواجه معها المخاطر . . وفي نشوة شديدة أستمتع بالمثابرة والإيمان في كل مراحل الرحلة في ذاكرتي . .

بلذة الوصول إلى القمة . .

بكل تفاصيل الوردة الجميلة . . وبالمعنى الحقيقي للحياة . .

(انتهى)


ابن الناظر

أخط (بالطباشير) الأزرق بعد أن بللت نهايته بالماء

ابن الناظر على أعلى يمين (السبورة)

١٩ ربيع الآخر سنة ١٤١٨ هجرية

وأقابلها على أعلى اليسار بخطي المميز

٢٣ أغسطس سنة ١٩٩٧ ميلادية

ثم ألتقط من علبة الطباشير الملون إصبعًا أحمر أغمس نهايته في غطاء زجاجة المياه البلاستيكي المحمل بالماء، وفي أعلى منتصف السبورة أخط بحركات هادئة مطمئنة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وقد أستدير قبل أن أنهى الكلمات كى أغمس نهاية الإصبع في الماء مرة أخرى وتمر عيني بسرعة على الجمهور الذي يتابع حركة يدي بشغف ويبدو الإعجاب في ملامحهم أو في عبارة تنزلق من وقت لآخر من أحد الأفواه الصغيرة : الله يا أستاذ . . خطك جميل . .

وتميز أذني بدقة صاحب أو صاحبة الصوت من التلاميذ كي أخصه فيما بعد بنجمة أو تصفيق أو أتجاوز عن شقاوته مرة على أقل تقدير . .

ولا يفوتني بالطبع تمييز صوت (سالم) الذي يفترش بجسده الضئيل الدكة الأولى أمام منضدتي مباشرة، والذي أثنى على خطى عدة مرات . .

أستدير كي ألتقط اللون الأصفر فألمح (سالم) وهو يعيد بسرعة الإصبع إلى مكانه داخل العلبة . .

فأصنع على وجهي تعبير ملفق من التجهم وأشير إليه بسبابتي :

ـ قيام . .

فيقف بآلية وتتحرك أقدامه دون مشي ويهتز جزعه في بطء للأمام والخلف مستندا على الدكة بكلتا يديه، ثم أغمز اللون الأصفر وألتفت كي أضع التشكيل على العبارات التي طبعتها لتوي على السبورة فتبدو وكأنها مخطوطة أثرية تم لصقها بحرفية وإتقان على أركان السبورة . .

أعود إلى الخلف وأطالع ما كتبته وأنا منتش بعبارات الثناء البسيطة والمقطوعة الخارجة من أفواه لم تتعلم النفاق بعد . .

فأجاوب جميع الفصل بابتسامة رضا . .

وأعود لنهاية الفصل متصفحًا العبارات مرة أخرى ولا أبخل على الأطفال بالنصيحة محاولاً أن لا أجعلها مباشرة قدر الإمكان؛ فأشرح لهم أني درست دراسة مكثفة في معهد الخطوط العربية لمدة خمس سنوات متواصلة كي أتعلم مختلف أنواع الخطوط . .

فتلتقط أذني الكثير من ال: ـ ياااه . . خمس سنين . .

فأواصل محاولاً إحداث رد فعل شرطي في أذهانهم يربط بين نجاحي في كتابة خط جميل بهرهم والمثابرة في العمل للوصول لهذا النجاح، موضحا أنه لابد للوصول إلى درجة التميز من: المثابرة . .

وسألت بصوت عال:

ـ ما معنى المثابرة؟

فلم يتطوع أحد برفع يده سوى (سالم) الذي التفت إلى بجذعه العلوي.. فأشرت له، ولدهشتي اشترط على أن يجلس إذا كانت إجابته صحيحة..

ومرة أخرى أمنع ابتسامتي من الانفلات وأصطنع التجهم وأرد عليه إنك ستقف إلى أن يدخل أحدهم من الباب..

فترتسم لوهلة ملامح عدم الاقتناع على وجهه لأنه يعلم ضآلة احتمال دخول أحد.. وقد يقف لآخر الحصة منتظراً..

لكنه يجيب ـ رغم ذلك ـ في لامبالاة مصطنعة:

ـ الصبر...

فأضيف أنا: هذه نصف إجابة.. فالمثابرة تعنى الاستمرار في الصبر.. أي الصبر على العمل باستمرار..

ثم تراودني فكرة سريعة: هل يفقه الصغار هذه المعاني المركبة؟! لكن لم لا؟ وقد قال سالم ببساطة: الصبر.

.. طرق الباب طرقة خفيفة صاحبتها دفعة قوية فتهلل وجه سالم وقبل أن أصدر أمرًا بالجلوس كان سالم قد جلس.

فوَّتُّ له جلوسَه دون استئذان لأن القادم كان ناظر المدرسة الذي لمح

سالم حين دخل ومرت عينه بسرعة على الجالسين وأنا أعلم أنه يبحث عن ابنه الجالس على اليمين جانب الشباك . .

تقدمت ناحيته كي يذكرني بالاجتماع الذي سيعقد في الفسحة ولم يكن بحاجة لتذكيري بعد أن أشار إليه في طابور الصباح . .

وبدأ في استعراض بعض المشاكل التي سيتم طرحها وعينه تنتقل من مواجهتي إلى ما خلف ظهري حيث يجلس ابنه . .

طبعًا لم أقاطعه . . مع أن الحوار غير ذي جدوى فسوف نجتمع في الفسحة ونتكلم حينها . . لكنه يعتبرني المدرس الأول لمادة اللغة العربية والأكبر سنًا بين باقي المدرسين، ويعتمد علي بالفعل . . لا في الإشراف على أنشطة الطلبة فحسب كالبرنامج الإذاعي اليومي والذي حصدنا فيه المركز الأول على مستوى الإدارة التعليمية والمجلات المدرسية والمسرح الصغير . . . وإنما أيضًا في النشاط الاجتماعي للارتقاء بمستوى العملية التعليمية فآرائي لا غنى عنها في اجتماعات مجلس الآباء . . وأنا ـ بلا فخر ـ خير ممثل لمدرسي المدرسة إذا زارها مفتش أو لجنة تفتيش . . وفي حركة مفاجئة أنهى الناظر كلامه وربما استشعر أني سرحت منه، وجدته يلتفت مواجهًا سالم وسائلاً إياه في حدة عن سبب قيامه حين دخل الفصل . .

فأجاب بطيبة : ـ كنت متذنب . .

فواصل الناظر وكأنه كشف سرًا خطيرًا :

ـ وقعدت من غير استئذان؟؟

وقبل أن يستمع إجابة أو تبريرًا كانت يده القابضة على الخرزانة تلسع

ظهر يد سالم المسنودة على الدكة في براءة بحركة سريعة انتفضت معها اليد الصغيرة والجزع كله . .

أمسكت يد الناظر قبل أن يتبعها بأخرى وأفهمته بهدوء أني كنت سمحت له بالجلوس . .

انصرف الرجل وتابعت الحصة حتى دقت الفسحة فأشرت لهم أن مدة الفسحة سوف تطول بسبب الاجتماع ولا يحاولن أحدكم التزويغ . .

وفي طريقي لمكتب الناظر كان سالم يمد الخطى بحذائي واضعًا شارة حمراء على أعلى ذراعه الأيسر مكتوب عليها (الشرطة المدرسية)؛ فابتسمت وقد ذكرتني الكلمة بالشرطة العسكرية أيام التجنيد الإجباري والتي كنا نتحاشاها في الشوارع كي لا تقبض علينا (مخالفة) بمناسبة ومن غير مناسبة . .

وحين لم ألمح عم (السيد) جالسًا على دكته المعتادة عند بوابة المدرسة . .

ذهبت بنفسي وتأكدت من إحكام غلقها ثم أمرت سالم بلهجة عسكرية أن يقف هنا أمام البوابة ولا يسمح لأحد بالخروج أو الدخول . . مهما كان . .

ولعل غياب عم (السيد) أعطى جرأة للأطفال فتجمهروا عند البوابة مطالبين بالخروج بينما وقف سالم صارخًا فيهم أن ابتعدوا وإلا أخذت أسماءكم جميعًا . .

وفيما نحن في الجلسة قطع علينا الاجتماع ابن الناظر الذي دلف دون

استئذان بخطواته الزاحفة وهمس لأبيه بكلمات التمعت لها عين الأب فوقف ناظرًا للشباك آمرًا أن تفتح البوابة . .

لكن صوته ضاع وسط صياح الطلبة . .

استأذن وخرج مهرولاً فتبعته كي أراه يأمر (سالم) أن يفتح البوابة، بينما يقف الولد في هدوء عاقدًا ساعديه أمام صدره ومجيبًا :

ـ ممنوع يا حضرة الناظر . .

أمد الخطى وأشترك في الحديث مبتسمًا ومعلقًا أن هذه أوامري وأشير إلى سالم أن يفتح بسرعة فالناظر يحتاج شيئًا من الخارج . .

وهنا فقط . . يرضخ الولد (سالم) وأراه لدهشتي ينزع عصا خشبية غليظة كان قد حشرها مكان القفل بحيث يستحيل فتح البوابة . .

و يتبع ذلك بسؤال متهكم لا يسمعه سواي :

ـ الناظر أم ابنه؟

ثم حدجني بنظرة غريبة وترك البوابة وانصرف . .

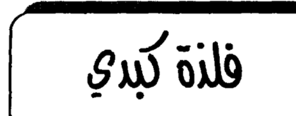
ترى ماذا دار في عقل هذا الولد الصغير؟

إنه في النهاية طفل . . لا يدرك هذه المعاني المركبة . .

لكن (سالم) قالها ببساطة وهو يبتعد . . كما قالها من قبل :

ـ الصبر . . . .

(انتهى)



فلذة كبدي

يحلقـون شـعر بطـني في رتابـة ميكانيكـية ويـتحلقون حولي بخطوات تبدو لي مدروسة إذ لم يرتطم ـ رغم كثرة عددهم ـ أحدهم بالآخر . .

بيـنما يـدس الـرجل الأشيب محقنه في (الكانيولا) التي غرسها في يدي بهدوء وثقة طالبًا مني أن أعد من عشرة إلى واحد ببطء . .

عـشرة . . مـلاءات خـضراء فوق الجسد العاري بجانبي تغطيه بأكمله بعد أن سبقني و دخل غيبوبته . .

هه . . أبعدوا الملاءة عن وجهه . . إنها أشبه بكفن أخضر . . . . لا يا حبة العين . . ليس هذا كفنك . . هذا . . دواؤك . .

. . تسع سـنوات مـن العمـل المتواصـل . . لم يعـد للوطن معنى ، والهدف من الحياة الدنيا . . مجرد . . ابن . .

ثمانية . . عمر ابني الجميل جدًا . . هبة من الله . .

سوف يعيش لو تقاسمنا الأكباد . . أليس هو فلذة كبدي ؟

سبعة . . سنين للحصول على الدكتوراه . .

ما وظيفة الوالد ؟

حاصل على الدكتوراه . .

أنا مصدر فخر دائم لابني . .

ستة . . . أربعة . . الأشياء تتعاقب ، تختلط ، تغيم . .

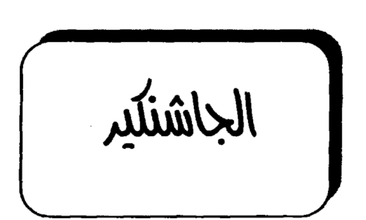
واحـد . . الغـرفة بيضاء . . وصداع الرأس قاتل . . يبدو أني أستيقظ من غيبوبة قوية . .

لكن ابني كيف حاله ؟ . .

إلى الآن العملـية ناجحـة . . لـو مـرت أول أربـع وعشرين ساعة على خير . .

فسوف يعيش . . بصحة جيدة . .

(انتهى)


الجاشنكير

الجاشنكير مهمتي أن أتذوق جميع أصناف الطعام قبل أن توضع أمام السلطان . .

وللتذوق هذا أسباب ونتائج . .

فأما الأسباب؛ فهي أن يتم التأكد من جودة الأصناف وضبط ملحها وتوابلها ومدى نضجها أو شيها أو حتى درجة حرارة المرق ، أيضًا نسبة السكر والعسل وكمية المكسرات على الحلويات والمشروبات بالشكل الذي يحبه السلطان . .

ولأني أيضًا أبتكر من حين لآخر أصنافًا جديدة قد تعتمد على إمكانيات بسيطة أو لا . . لكنها تأتي بطعم فريد . .

مثلاً لاحظت أن السلطان يحب التمر اللدن فلا هو تمر جاف منكمش من كثرة ما فقد من سوائل . . ولا هو (عجوة) لدنة تلمع من كثرة العسل فوقها . . وإنما يحبه وسطًا بين هذا وذاك . .

وبالتالي يتم كمر أفخم أنواع التمور بعد نزع نواها بالطبع لمدة بسيطة بحيث أقول أنا بعد أن أتذوقها :

- لقد أصبحت جاهزة . .

لكنى اقترحت أن نضيف حبات اللوز المقشر بدلاً من النوى داخل كل تمرة ولاقى اقتراحي قبولاً وترحيبًا لدى السلطان ثم اقترحت بعد أن تذوقت طعم الزبد مختلطًا بالتمر أن يتم حشو كل تمرة على حدة بالزبد

البارد ثم نزرع بداخلها حبة اللوز الكبيرة وبالتالي تسيل الزبد من جنبات التمر مختلطة بعسلها بمجرد الضغط عليها بين اللسان والأضراس ثم تتكسر أجزاء اللوزة فتخلط الجميع وتعطي طعمًا فريدًا لم يجربه أحد من قبل . .

وقد أعجب هذا الاختراع السلطان؛ وأثنى عليّ قائلاً:

- ستظل (الجاشنكير) الخاص بي حتى تموت . .

أما أقوى الأسباب لعملي (كجاشنكير) يتذوق الطعام قبل أن يقدم للسلطان بربع ساعة على الأقل؛ أن يتم التأكد من خلو الطعام من أي سم قد تكون أيد آثمة قد دسته خلال مراحل طبخه المختلفة . . التي لا أشرف عليها أنا إطلاقًا . .

والنتائج بعد ذلك واضحة، فهي رضى السلطان عن عملي وأدائي في الحكم على الأطعمة وبالتالي المزيد من الطلبات والمزيد من الأكل حتى استحال جسدي إلى كرة سمينة لا تميز فيها رأسًا من كتف، أو العكس . .

هذا بخلاف احتمال أن تكون كل لقمة أضعها في فمي هي اللقمة الأخيرة . . لأني سأموت بدلاً من السلطان . .

كنت أشعر بالأمان لأنه وعدني بالحفاظ على وظيفتي دائمًا . .

لكنه لم يعدني أن يظل هو السلطان . .

فرغم تعاقب أربعة سلاطين عليّ إلا أن هذا كان أكثرهم نهمًا وأقلهم حظًا . . فلم يلبث أن ثار عليه (أتابك) العسكر وقطعوا رأسه وتولى (الأتابك) مكانه وأصبح سلطان البلاد . .

و لا أعرف لماذا كرهني الأتابك / السلطان الجديد من أول يوم . .

إذ رأيته لدهشتي يشير إليّ ساخراً :

ـ أنت وظيفتك هي الأكل . . أليس كذلك . . ستذهب إلى مكان تستمتع فيه بأشكال طعام لم تر مثلها على مر تاريخ السلاطين الذين خدمتهم من قبلي . .

وأرسلني إلى جب في قعر السجن تكاد الشمس لا تصل إليه ، وبعد أن كنت أعاني دائمًا من امتلاء بطني إذ لا أذكر أني وضعت طعامًا في معدة خالية قط . . كان أكلي دائمًا طعامًا فوق طعام . .

أصبحت الآن أشعر لأول مرة بالجوع . .

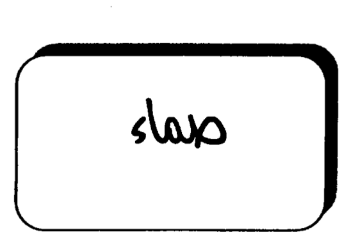
أنا (الجاشنكير) العظيم الذي كان يدخل على السلطان أكثر مما يدخل وزيره وأتابكه أعاني الآن فعلاً من . . الجوع . .

لكني ـ رغم ذلك ـ أشعر براحة عجيبة وقد نزع الخوف من قلبي انتزاعًا . .

فأنا الآن أعرف معنى كلمة . . لم أحسها من قبل قط طوال فترة خدمتي الطويلة بين السلاطين العظام . .

أنا الآن أشعر ـ إلى جانب الجوع ـ بالأمان . .

(انتهى)


صماء

صماء يمـشى بـسيارته الحمـراء بـسرعة عالية نسبيًا فالطريق شبه خالٍ . .

إلا من فتاة . .

وحيدة . .

صماء . . تعبر الشارع في نفس اللحظة . .

يطلق النفير لكن الفتاة تسير بهدوء مستفز . .

يضطر لإبطاء السيارة بفرملة تصدر صريرًا عاليًا فتعبر الفتاة أولاً . .

يحدج الفتاة بنظرة غاضبة مصحوبة بكلمة :

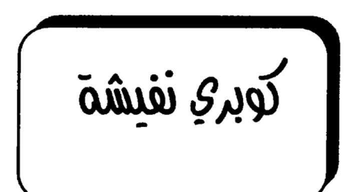
ـ باردة . .

لكــن الفـتاة الـتي لمحت السائق بعد أن عبر من خلفها ولاحظت حركة شفتيه من نافذة السيارة . .

لا تميـز الكلمـة ، إلا أنهـا تفهـم الموقـف بـسرعة مـن ملامـح الـرجل العنيفة . .

. . تعتلـي الرصـيف محاولـة نـسيان وجـه الرجل ، وتواصل خطواتها الهادئة . . دون أدنى صوت . .

(تنتهي)


كوبري نفيشة

كوبري نفيشة

مشيت فوق قضبان القطار تجري المياه من تحتي فأتردد في خطواتي بينما يسير الناس مهرولين كأنهم فوق كوبري حقيقي ويستفزني منظر المرأة الممتلئة التي تحمل طفلاً بذراعها الأيمن وأكياسًا بلاستيكية عديدة بيدها اليسرى ومع ذلك تتهادى في تؤدة وثقة . .

هذه السيدة بالتحديد هي التي شجعتني للإقدام على هذه الحركة الجريئة والمشي مع الشباب القوى والأطفال سريعي الحركة والرجال الواثقين على القضبان الحديدية التي تخترق الكوبري الحديدي الواصل بين شاطئي الرّياح(*) . .

لا مشكلة في الأمتار الأولى حيث يوجد سور حديدي رفيع أستطيع أن أقبض عليه بيدي والفلنكات الخشبية واضحة والمسافة بينها مصمتة تحتلها أرض الشاطئ وعليها الكثير من الحجارة المميزة لقضبان القطار . . لكن التحدي يبدأ بعد هذه المسافة البسيطة حين يتسع عرض الكوبري وتبتعد جوانب السور فلا أجد ما تتعلق به يداي . . لكن الأدهى أن أرض الشاطئ انتهت وأصبح الماء تحت الفلنكات مباشرة فلو ـ لا قدر الله ـ تعثرت خطوتي سأنزل مباشرة في قلب المياه . .

أشعر بتوتر بالغ وأنا أغالب رهبتي من المرور فوق هذه (الفلنكات)،

(*) الرياح: ترعة كبيرة أقل في عرضها من الفرع الرئيسي للنهر وأكبر من الترع والمجاري العادية .

ومـن حين لآخر يرتطم بكتفي من الخلف أو الأمام أحد الأشخاص الذين يعبرون بسرعة بينما تتردد خطواتي أنا فأمشي ببطء شديد . .

وتتقافـز حدقـة عـيني مـا بـين الفلنكات الخشبية والمياه الخضراء بقتامة أسـفلها فأشـعر أن قـوة خارجـية تجـتذبني لهـذه المـياه وأنـي سأقع الآن لا محالة . .

ثـم أخطـو بـضع خطوات كأني شربت ترياقًا للشجاعة، ينتهي مفعوله بسرعة لأني أنظر للخلف فأجد الشاطئ قريبًا جدًا . .

كل هذه الخطوات ولم أقطع سوى مترين فقط فوق المياه . .

تراودنـي نفـسي أن أرجـع ، فمـا الفائـدة مـن اسـتخدام هـذا الطـريق للعـبور . . المصمم أساسًا للقطار وليس للمشاة، لكني أرى الناس القلائل يعبرون أمامي ويتجاوزونني فأشعر كأنها إهانة . .

لماذا يستطيع هؤلاء، وأنا لا أستطيع . . هل هم كما كانت تقول جدتي يزيدون عني قدمًا أو عينًا؟

لكني سأتأخر هكذا . .

فلـؤأجل العـبور هذه المرة من هذا الطريق وأعود أدراجي كي أستخدم كوبري المشاة العادي المكتظ بالناس . .

كـدت فعـلاً أن أرجع لولا مرأى هذه السيدة الممتلئة وهي تقابلني على الفلـنكات بعد أن عبرت أغلب الكوبري من الناحية الأخرى وتقترب مني تدريجيًا بسرعتها الثابتة حتى تأتي أمامي، ماذا سأفعل الآن؟

إنها بدينة وتحمل طفلاً وأشياء . .

كيف أفسح لها؟

كان الآخرون يتجاوزونني بسهولة . . دون أن أفعل أنا شيئًا . . أما هذه السيدة فيجب أن أتجاوزها أنا . . لكن كيف؟

هناك احتمال كبير أن تفلت قدمي أو أفقد توازني فأجد نفسي مع الأسماك وربما تمسكت بها . . فأوقعتها معي . . لا لا . . الأسلم أن أعود أدراجي . .

لكني لو عدت أدراجي واستسلمت لكل عقبة تواجهني فلن أصل في موعدي بل ربما لا أصل للشاطئ الآخر أساسًا . .

لقد اخترت من البداية طريقًا غير تقليدي . . لا يسلكه إلا الواثقون من قدراتهم أو الأطفال المتهورون . .

إذن يجب أن أحسم أمري بسرعة وألتف أنا حولها . .

تركزت عيني على المياه ذات الأمواج المتلاطمة التي تنتظر أن أقفز فيها . . وبذلت مجهودًا كبيرًا كي أحرك قدمي اليمنى فقط وأدور بها ببطء ملتفًا حول السيدة . . التي ربما شعرت بما أعانيه فأمسكت ذراعي بيدها اليمنى التي يرتكز على ذراعها الطفل ونظرت في عيني نظرة سريعة مصحوبة بعبارة بدت تلقائية ترشدني فيها أن لا أنظر إلى المياه . . ثم واصلت طريقها . .

لقد قامت هي بتجاوزي في مرونة عجيبة،

وهنا فقط فكرت بكلماتها . . لماذا أنظر إلى المياه وأشغل بالى بها؟

لماذا أفكر أني سأقع فيها مع كل خطوة أخطوها؟

وعلى الفور رفعت رأسي ونظرت إلى الشاطئ الآخر بحيث ألمح بطرف عيني السفلى موضع قدمي بالكاد وخطوت أولى الخطوات بتحديد مكان الفلنكة من زاوية عيني دون النظر إلى ما تحتها . .

وحقًا كانت خطوة سريعة فرحْتُ بها . . وهنا وجدت طفلاً يجري فوق الفلنكات ويجتازني بسرعة . . ربما نحتاج أحيانا أن نمتلك جرأة الأطفال وشغفهم لمعرفة وتجريب كل جديد . .

خطوة أخرى محكمة وثالثة ورابعة . . ها أنا أقترب من منتصف الكوبري بما يعنى أنني لو وقعت الآن فسوف تبتلعني المياه تمامًا . . لأن هذه أعمق نقطة . .

لكني طردت من رأسي هذه الفكرة وواصلت المشي الذي أصبح أسهل . . خصوصًا وقد امتصت عيني المشاهد عند الشاطئ الآخر والمحلات المكتظة بالبضاعة والمشترين وبعض الشباب عند نهاية الكوبري يصيحون بطريقة عجيبة . .

. . أركز اهتمامي مرة أخرى وأنظر للفلنكات فأجد أقدامي تسير بطريقة آلية فوقها وقد حفظت المسافة بين كل فلنكة وأخرى . .

لم أعد أضطر الآن للنظر إلى كل خطوة فقد أصبحت خطواتي محسوبة معدودة مدروسة، لكن صياح الشباب يتزايد؛ فأزيد في التركيز، لا أريد

أن يـشتتني أحـد . . مـرة أخرى إلى أن أشعر بهزة خفيفة تحت أقدامي ومن وسـط ضوضـاء السوق الكبيرة وصياح الشباب أسمع كلمة واحدة ترتطم بأذني وتستقر في عقلي وكأنها أوقفت باقي الكلمات خلفها . .

القطار . . . .

ولا أنظـر خلفـي هـذه المـرة وإنما أسارع وأجرى فوق الفلنكات وأعبر النـصف الباقـي كلـه جريًا وأقفز إلى الشاطئ الآخر متجاوزًا عدة أشخاص كانوا قد تجاوزوني من قبل . .

ومـا إن وضـعت قدمـي فوق الأرض حتى استدرت ناظرًا إلى الكوبري فلم أجد أية قطارات . .

بل على العكس كان هناك شخصان آخران يمران فوق الفلنكات . .

ورفعـت نظـري ناحـية الكوبـري الآخر غير البعيد والمخصص للمشاة فوجدته مكتظًا ولمحت رجلاً يعبره على حماره والمشي فوقه بطيء بطيء . .

ثم وصلت في الموعد المناسب .

(انتهى)

عظماء البالوعة
السبع

(١)

عظماء البالوعة السبع

اقتربت الفتاة (هند) من البالوعة الفاغرة فاهها في نهم واستعداد لتقبل أي غافل يضع قدمه في حدود هوائها . .

وفي حذر أطلت (هند) برأسها لتميز عمق البالوعة فوجدتها سوداء قاتمة تمتص النظرات دون أن تعكس معالمها أو تبين أية تفاصيل لما بداخلها . .

وفي حذر أيضًا أحضرت (هند) (زلطة) صغيرة وتركتها لتسقط في فراغ البالوعة ومن صوت ارتطامها تبينت وجود سوائل تبعد مترين على الأقل من السطح ولم تميز عمقها طبعًا . .

نظرت (هند) إلى عامود الإنارة صاحب الإضاءة المترددة وإلى العمود على الرصيف الآخر المواجه له الذي سكن تمامًا؛ فأضحت هذه المساحة الأكثر ظلمة في الشارع . .

وفي إخلاص بحثت عن شيء يمكن وضعه كعلامة تحذيرية بعد أن يئست ـ طبعًا ـ من تغطية البالوعة . .

وهكذا اقتربت من صندوق القمامة الكبير لتجلب بضعة أحجار كانت متناثرة حوله ذات أحجام مختلفة وضعتها كدائرة تحيط بحواف البالوعة وفي نيتها أن تبلغ جهاز أعمال الحي في الصباح . .

(٢)

اقـترب عـم (هـادى) مـن الأحجـار المخـتلفة الحجم مستنداً بقوة على عـصاه. . يـرى طـريقه في الإضاءة الخافتة المترددة بصعوبة، وفى هدوء يمد يده لأقرب الأحجار إليه وهو يلعن في سره الأطفال الذين يضعون مثل هذه الأشياء في سكة الناس، ويحاول أن يحمله لكن اتزانه يختل فيتركه ليتدحرج مـستقراً داخـل الفوهة ويعتمد على عصاه متفادياً الأحجار ومواصلاً سيره ولعناته. .

(٣)

يقـترب الفتى (ساهر) الشقي ويحمل أحد الأحجار ثم يعود مرة أخرى ويحمـل آخـر وثالـث ورابـع ولا يأبـه للحجـر الكـبير الـذي وقـع داخـل البالوعة. .

لقـد صنع الآن عارضتين خياليتين يستطيع أن يلعب خلالهما الكرة هو وأصحابه. .

(٤)

يأتـي مـسئول الحي بعد شهر من سرقة غطاء البالوعة وبعد أن تكاثرت الـشكاوى، ينظـر داخلها في ضوء الشمس ليجد أشياء كثيرة. . فينصرف مستغربًا من استخدام الناس لها كمقلب قمامة . .

(٥)

الشارع امتلأ بمياه المجارى التي تحمل الكثير من غاز الإيثان ذي الرائحة النفاذة، وقد وضع أولاد الحلال برميلاً معدنيًا ثقيلاً فوق فتحة البالوعة التي اخـتفت تحـت المياه الـراكدة وتكـونت طـبقة خفيفة خضراء فوقها اعتلتها الحـشرات الـزاحفة والطائـرة وأصـبح نقـيق الـضفادع المـزعج أمرًا معتادًا باللـيل. . أمـا قطع الطوب العريضة وكسر البلاط والكارتون المقوى فتعبر المياه بالعرض كجسر مؤقت يدوس عليها الناس وهم وجِلون. .

(٦)

يهز مهندس الحي رأسه متأسفًا من منظر الشارع وموضحًا لمساعد مدير الجهـاز وهمـا في سـيارتهما الجـيب المرتفعة أن سعر غطاء البالوعة (الزهر) أغلى من أضعاف وزنه من الحديد الصلب. .

فيتسابق اللصوص على سرقتها من أي منطقة عشوائية كهذه . .

أما مساعد المدير فيوضح أن المنطقة موضوعة في خطة توصيل الغاز القادمة خلال سنتين وستحفر شركة الغاز في الشارع وتعيد رصفه بعد ذلك . . فلنترك لها هذه الإصلاحات . .

(٧)

المهندس المعاين لموقع تركيب الأنابيب ينظر مدهوشًا إلى المياه

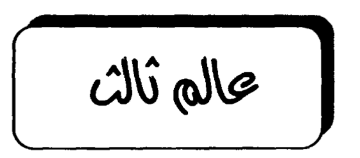
- كيف يعيشون في هذا المستنقع؟

هذا الحي آخر نقطة في هذه المساحة الطبوغرافية . . يمكننا ببساطة أن نؤجل توصيل الغاز له حتى تجف هذه الفوضى . .

هؤلاء أناس همجيون لا يستحقون الغاز أساسًا . .

وبجرّة قلم . . نقل الحي من المرحلة الأولى إلى المرحلة الأخيرة بعد ٣ سنوات أخرى . .

(انتهى)


عالم ثالث

عالم ثالث أخبرَني أنه يعاني من سعال خفيف وزيادة في إفرازات الأنف منذ أسبوعين على الأقل. . وحين سألته عن مهنته أفاض في الإجابة بكلماته السريعة قائلاً:

- مصنع الألومنيوم المتميز بالمنطقة الصناعية بالإسماعيلية. . منحة من الحكومة الفرنسية. .

وهو مصنع جدير بالفخر بإمكاناته وإنتاجه وعدد العاملين به. .

وفرنسا لم تبنه فحسب. . وإنما تمده بوسائل بقائه المختلفة من دعم تقني وتوفير مواد خام و غيرها. .

كما تستورد إنتاجه - تقريبًا - كله. .

- ومتى يزيد السعال؟

- في الصباح وتظل أنفي تنقط وكأنها صنبور معطوب. .

آمره أن يجلس وأنقل السماعة إلى ظهره آمرًا إياه أن يأخذ نفسًا عميقًا ويخرجه ببطء. .

يواصل كلامه وهو في هذا الوضع بحماس واندفاع:

- أما الدخان الكيميائي الخارج من تفاعلات حرق المصنع والسابح في أمان في فضاء عالمنا فهو خطر على جميع الكائنات الحية. .

و يكرر أنه سيترك العمل في أول فرصة

- لا تتكلم

. . . .

يعتدل الشاب الحالة مغادراً سرير الفحص ومواصلاً حديثه:

- لقد تم إيقاف عمل جميع مصانع الألومنيوم في فرنسا والدول المجاورة . .

ويقطع كلامه بسعال خفيف يبدو لي في هذه اللحظة مفتعلاً . . ثم يتابع:

- لكن الألومنيوم هام . . وعملية تصنيعه ملوثة للبيئة . . فما العمل؟

- هذه حساسية ربيع . . لا ضرر منها وهى غير معدية لكن لا تقد السيارة بعد هذا الدواء لأن له تأثير منوم قليلاً . .

يلتقط الروشتة شاكرا ولم ينس تكملة حديثه فيواصل قبل أن ينصرف:

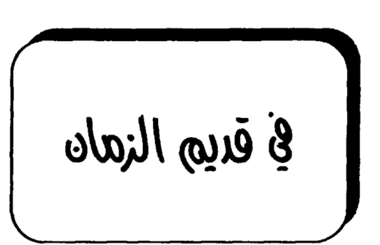
- . . توجد دول صديقة تفصلها عنا بحور وشواطئ . . هناك/ هنا . . في العالم الآخر . . الذي نحيا به أنا وأنت، حيث تتعامل الطبيعة مع جميع الملوثات في هدوء وانسجام . .

أكرر تحذيري من الدواء المنوم الذي يجب أن يأخذه صباحًا ولا يقود سيارة بعده . .

يشير إلى اسم الدواء مبينًا أنه عرفه ويواصل تمتمته وهو مغادر:

- حرام عندهم وحلال في عالمنا .

(انتهى)


في قديم الزمان

في قديم الزمان كانت هناك إمبراطورية غنية جدًا بمواردها الطبيعية والبشرية . . وفى كوخ بسيط بها . . دار هذا الحوار :

ـ أبي . . البيضة أصبحت بجنيه .

لم يرد الأب .

ـ أبي . . انظر إلى البيضة إن حجمها صغير كما بيض الحمام . .

ينظر لها الأب ولا يعلق

ـ إن رائحتها فاسدة . .

يقربها الأب من أنفه ثم يشيح بوجهه قرفًا ويبعدها . .

ـ سوف أقليها بالزبد البلدي . .

ينظر له الأب مستفهمًا . . فيجيب الابن على نظرات أبيه :

ـ آه . . هذا الزبد . . لم أشتره بالطبع . . الأوقية الآن بأربعين جنيهًا . . هذه القطعة هدية من جارتنا الودودة (وداد) . .

تظهر ملامح الغضب على ثنايا وجه الأب فيحتويها الابن سريعًا متابعًا :

ـ لقد اشتريت لها بضعة أشياء من سوق العبيد . . وكنت قد أصلحت لها عجلة عربة الخيل خاصتها فكافأتني بهذه . . وقد رفضتها . . لكنها أصرت قائلة إن أخاها زارهم أمس وجاء بخير كثير . . ونصحتني أن أقلى فيها البيض . .

يشير الأب بسبابته علامة التحذير فيعتذر الابن عن عدم تكرار أخذ شيء في المستقبل . .

ويكسر قشرة البيضة فوق المقلاة التي ذاب فيها الزبد وبدأ يحدث طرقعات بسيطة ذات رنة محببة

ـ الحمد لله يا أبي أننا لسنا عبيدًا . . إنهم يعاملون بقسوة شديدة

. . لكن القشرة تكشف ـ بدلاً من البياض والصفار ـ عن حشرة سوداء قبيحة . . تقع في الزبد الساخن

ـ لقد نزعوا نابًا من فم أحدهم ودقوه في رأسه ليثبتوا قوة احتماله . .

يقلب الابن الحشرة وهو يهرس أجزاءها بالملعقة الخشبية وكأنه لا يعرف شكل البيض من الداخل ثم يضع عليها التوابل وبعض الإضافات حتى تتماسك مرة أخرى على شكل فطيرة دائرية . .

يتناولها هو وأبوه الذي يعلق :

ـ لقد تغير ـ في هذا الزمن ـ طعم البيض .

(انتهى)

لا أحب أن أكون هذا الشخص

لا أحب أن أكون هذا الشخص

يقود السيارة في هدوء وثقة ويخرج من جيبه علبة فاخرة.. يلتقط منها بأسلوب تمثيلي بارع سيجارة لها أسورة ذهبية غاية في الرقة والرشاقة ويبدو شكله وهو يدخنها كأحد أبطال هوليود القدامى وكأنه يمتطي فرسًا أصيلاً لا سيارة فارهة..

أما أنا فأتابعه من مقعدي بجواره وأقطع حديثنا الدائر عن تشطيبات الشقة وكيفية استغلال مساحة الشرفة الصغيرة خلف المطبخ بحيث نضمها إليه فتزيد مساحته...

وأطلب منه في ثقة ـ و أنا لا أدخن ـ أن يناولني سيجارة..

يسكت هنيهة وكأن الأفكار تزاحمت في رأسه أو انقطعت تمامًا..

ويحدجني بنظرة جانبية سريعة، ثم يواصل حديثه وهو يدور بعجلة القيادة في شارع آخر..

ـ لا مانع لدي..

ويمد يده بالسيجارة..

وقبل أن تستلمها يدي.. يقبضها بسرعة ويتابع:

ـ لكنك ستظل طول عمرك تلعن الشخص الذي أعطاك أول سيجارة..

ثم أعاد السيجارة إلى علبتها . . وتابع :

- و أنا لا أحب أن أكون هذا الشخص . .

(انتهى)

على مكتبي العتيق

على مكتبي العتيق

الأشـياء موضـوعة أمامـي علـى مركـز سطح مكتبي العتيق في نظام وترتيب . . بخلاف بعض الأوراق المبعثرة، قديمها وجديدها على أطراف المكتب الأربعة . .

وأنا عاجز عن تمييز تفاصيل الأشياء؛ لعدم توافر الإضاءة المناسبة . .

لكننا في عـز الظهـر . . إذن كل ما عليّ فعله هو أن أحرك أقدامي حتى أصل إلى الباب ثم أفتحه . .

وهكذا وصلْتُ إلى الباب وفتحته، فغشيني نور قوي . .

لم أحتمل كل هذا الضياء . . فأغلقت الباب محتميًا بالظلام . .

وبعد لحظات استشعرت حاجتي للنور مرة أخرى . .

لا لكـي أرى الأشـياء حولـي وخـصوصًا تلـك الـتي تـشغل مكـتبي العتيق . .

ولكـن، لكـي أميز التفاصيل الصغيرة، وتلك التي تتناثر على الأرض فلا أتعثر في إحداها فتكسرني أو أكسرها إذا كنت أنا الأقوى . .

وبالتالـي فـتحت الـباب مـتوقعًا الإضاءة القوية هذه المرة فرفعت كفي اليـسرى كي يحمي ما تيسر من عيني وقاومت لفحة الحر الذي بدأ يغزوني وعبر عنه جلدي بقطرات متنامية من العرق . .

ثمـة ريـاح خفـيفة تأتـي أيـضًا مـن الخـارج . . تتطاير لها بعض أوراقي المبعثرة وتتدحرج معها الأشياء الصغيرة الخفيفة على أرض الحجرة . .

لكني محتاج للنور.. يجب أن أصبر على هذه الأمور الصغيرة التي تصاحبه..

وفعلاً تجاهلت كل شيء ورحت أدقق في الأشياء بعد أن غمرها النور..

لقد رسم تفاصيلها بوضوح عجيب.. أستطيع الآن أن أصفها.. أن أشعر بها.. حتى ملمسها أصبح فى النور أكثر وضوحًا..

بل لقد اخترقت أشعة النور جزيئات أشيائي كأنها بلورة شفافة، أو ماسة براقة أرى داخلها وخارجها..

إن أشعة النور تمتد.. وبعد أن استقبلتها عيني تنقلها إشارات عصبية لمخي فتنيره.. ثم تزحف إلى قلبي فتنير صدري ويجرى الدم في جميع خلايا جسدي سائلاً مضيئًا..

لقد أصبحت مشعًا بذاتي.. هذا إحساس نوراني رائع..

وهذه تأثيرات للنور لم أكن أتخيلها.. وأنّى لي أن أعرف فائدة النور إلا إذا جربته..

حقًا إن البصر.. لنعمة..

لكن النور.. نعمة أكبر.........

(انتهى)

عميد شئون
الطلبة

عميد شئون الطلبة

يدخل الشاب/ الطالب إلى قاعة مكتبي يرتدي ـ في عز البرد ـ قميصًا داكنًا فوق (البلوفر) القصير . .

حذاؤه متآكل وقد تعب من كثرة التلميع . .

بلمحة واحدة من أسفل لأعلى أثناء رفع نظري من أوراقي على المكتب إليه . . أقدره ولا أتردد بالطبع في الموافقة على صرف الإعانة له وإعفائه من مصاريف الدراسة ، وأسأله في أي عام هو ، ثم أمد يدي إلى المكتبة على يساري كي أختطف بسرعة عدة كتب من مؤلفاتي المقررة عليهم هذا العام . .

وأبتسم له ابتسامة أحاول أن أشحذها بمعاني الأبوة والحب وأواصل حديثي معه بهدوئي المعتاد بينما يجلس هو في رَهبة ناظرًا إلى الكرسي المقابل له حينًا وإلى المنضدة الصغيرة أمامه ويزوغ بصره في قاعة المكتب الواسعة حينًا آخر أو ناحية التكييف أو البرواز الكبير المعلق خلف رأسي . .

فأتابع أنا بابتسامتي محاولاً أن أخفف توتره :

ـ لقد كنت أذاكر على لمبة (جاز) رقم ١٩ . . أتعرفها؟

فيبتسم قليلاً ويقول :

ـ طبعًا . .

ـ كان الجازولين ينتهي فأذهب للقرية المجاورة كي أملأ (الجركن) . . كانت أيام كفاح جميلة . . ، أشعر بلذة كلما تذكرتها وأتمنى أحيانًا أن تعود . .

فيتسم ابتسامة كاملة بدوره وقد زال أغلب توتره

ـ إذا واجهتك أية مشكلة فلا تتردد في المجيء إليّ .

و أصافحه بقوة قبل أن يغادر . .

ووددت ـ لولا حيائي ـ أن أضع يدي في جيبي وأخرج له مبلغًا ماليًا .

(انتهى)

القميص.. فاخر تقف عاملة التنظيف لابسة زيها الأزرق يشقه شريط أحمر على جانبيها..

تراقب شباب الجمعية وهم يعملون في نشاط.. وجوههم مبتسمة وأيديهم تحمل الملابس في أكياسها يوزعونها على الأطفال المتقافزين فرحةً بهم..

وتعلق مديرة الدار همسًا ـ بلهجة ناصحة ـ وآثار الابتسامة لم تختف من وجهها بعد:

ـ ثمن قميص واحد من هذه يكفي لشراء عشرة من أنواع أخرى فنفيدهم لفترة أطول..

لكن فتاة الجمعية تبتسم فتجبر المديرة على معاودة الابتسام وتوضح أن هؤلاء ـ أيضًا ـ يحبون أن يرتدوا القمصان الفاخرة...

وهنا تقتحم العاملة الحديث وهي تقول بلهجة صادقة متوسلة غير متسولة:

ـ اعتبروا ابني يتيمًا وأعطوه شيئًا...

فتتسع ابتسامة فتاة الجمعية وفي بساطة تمد يدها لقميص فاخر:

ـ هذا رزق ابنك جاء من سكة هؤلاء الأطفال... فلن نوصيك عليهم..

تختطفه العاملة وقد تحول اليوم عيداً وتقول في شبه صياح :

- هم في عيوني . . .

(انتهى)

تراب سيئ التوزيع

(١)

تبدو ذراع/ ريشة مروحة السقف أطول من اللازم . . كما أراها مملة جدا بحركتها البطيئة التي تحرك أتربة الغرفة دون أن تحرك هواءها . .

تراب
سيئ التوزيع

في أحد أفلام الخيال العلمي وضع الغزاة عقارب كبيرة الحجم فوق أذرعة/ ريش المروحة لاغتيال البطلة التي دلفت إلى الغرفة وفي براءة قامت بتشغيل المروحة فدارت الأذرع ببطء ممل وعند سرعة معينة تناثرت العقارب في أنحاء الغرفة وأذكر أن الممثلة ماتت في هذا المشهد . .

تستفزني الفكرة فأقف فوق سريري وأقفز مرة واثنتين كي أرى ظهر الذراع/ الريشة وقد توقف تمامًا لسبب أجهله . . أرى بوضوح طبقة كثيفة من الأتربة تحتل ثلاثة أرباع الذراع/ الريشة الواحدة بطولها بينما يظل الربع الملامس للحد الأيمن الذي يصطدم بالهواء نظيفًا . .

تعجبت من كمية التراب التي تعتلي المروحة . .

و إذا كان كل إناء ينضح بما فيه فهذه المروحة ستنضح بالأتربة الثقيلة . .

لا عجب إذا أن أشعر أن أذرعتها / ريشها تخنقني . . وفي بساطة تركت الغرفة وحملت أمتعتي التي لم أكن قد فضضتها بعد . . وطلبت من الرجل خلف المكتب المقوس في استقبال النزل أن أغير الغرفة . . فاعتذر الرجل عن انقطاع الكهرباء لأعمال الإصلاح وأشار للأمتعة أنه لم يكن هناك داع أن أهبط بها مرة أخرى، وأعطاني مفتاحًا جديدًا معقبًا: أ رقم ٣٠٤

(٢)

الغرفة رقم ٣٠٤ صورة طبق الأصل من الغرفة السابقة مع أنها في طابق آخر وعلى الجهة الأخرى من الشارع ومساحتها أكبر وبها سريران والمروحة هنا لها أربعة أذرع/ ريش وليس ثلاث فقط مثل الأولى . .

لكنها رغم ذلك تشبه السابقة كأنك أمسكت بالغرفة وقمت بمطها قليلاً واستنسخت سريراً آخر وذراعًا/ ريشة أخرى وقمت بطلائها بطلاء جديد لونه أكثر كآبة للنقوش المخملية على حافة المنضدة المستديرة التي كانت مربعة منذ قليل . . ووضعت بساطًا من (الكليم) الأحمر الذي لا حاجة لى به في هذا الجو الخانق . .

حتى ظهر الأذرع / الريش عليه نفس كمية الأتربة بنفس التوزيع . .

لم أحتمل الانتظار . . وغادرت النُزل كله . . .

(٣)

كي يسترخي جسدي وأفرغ عقلي من أعبائه المتراكمة يجب أن تسترخي حافظتي وأفرغ ما بها من نقود . .

وبالتالي ذهبت لنزل آخر يضع بضعة نجوم على بابه الزجاجي الكبير الذي يدور حول محوره . . .

لم تحوِ الغرفة هذه المرة مروحة وإنما (تكييفًا) أبيض لامعًا . . يملؤ الغرفة بالهواء البارد . . .

نظرت فوق (التكييف) ـ رأسي تكاد تلامس السقف ـ فوجدت ببساطة كومة من الأتربة الموزعة بانتظام على جميع السطح . .

كبرت الفكرة في رأسي وازددت عنادًا . .

سوف أبيت اليوم في مكان خال من الأتربة . .

تركت النزل الفخم ذا النجوم وتوجهت لمكان أفخم عليه نجوم أكثر . .

(٤)

لقد استرخت محفظتي كثيراً لكن عضلاتي لم تسترخ بعد . .

هذه المرة لا أرى أذرع مروحة أو(تكييفًا) فالمكان مكيف مركزيًا والهواء البارد يتحرك في الغرفة من (لا مكان) معين . .

هذا مكان نظيف بالفعل . .

ولا يوجد سقف شيء أستطيع أن أختبره . . فالدواليب عبارة عن أبواب داخل الحائط وكذلك الثلاجة ولا يوجد بالحمام سخان فالماء مسخن مركزيًا أيضًا . . .

أخيراً سأشعر بالراحة . . لكنى أرى حشرة ذات شكل عجيب تسير في هدوء على أرض (سيراميك) الحمام الأبيض . .

فأذكر في سخرية كلمة الأسقف (بيان فينيه) حين رأى في حديقته عنكبوتًا ضخمًا ذا شعر أسود كثيف : يا للحيوان المسكين . . إنه ليس لك ذنب في هذا الشكل الرهيب . .

أو هكذا قال (فيكتور هيجو) في بؤسائه . .

لأني أقبض على نعلي البلاستيكي الطري وأصفع الحشرة بقوة كي تنهرس أجزاؤها بين قاعدة النعل و(سيراميك) الحمام . .

ولا يفـارقني وسـواس أن أجزاء من الحشرة مازالت عالقة بالنعل حتى بعد أن نظفته وحككته بحائط الشرفة . .

تمنيت وجود بعض الأتربة كي أحك النعل بها . .

لكن المكان كان نظيفًا . .

كان نظيفًا أكثر من اللازم . .

(انتهى)

كلام ليس له معنى

كلام
ليس له معنى

- لماذا تكتب ؟
- كي أحصل على المال . .
- وأنت ؟
- كي أثبت ذاتي
- وأنت هناك ؟
- كي أستريح
- كي أرى أحلامي على الورق
- كي أهرب من الواقع
- من أجل الكتابة فقط
- لأني كاتب
- أرى أن سؤالك صعب
- الناس يقرئون . . إذن لابد من كتاب
- أما أنا فأحقق على الورق ما أعجز عنه في حياتي

- وأنا أجاهد بالكتابة
- وأنا أضع خططًا على الورق كي أنفذها فيما بعد
- كي أحصل على أموال طائلة وشهرة واسعة
- لأني أحب النجومية
- لأن الكتابة أرقى مهنة عرفها البشر
- أرى أن المفكر إذا لم يسجل خواطره فهو رجل ميت
- وأنا معك . . أرى أن الشاعر إذا لم يسجل أشعاره فلا فائدة من كلامه
- أما أنا فأسجل التاريخ . . إن المؤرخ أهم رجل
- وأنا أكتب مرافعات قضائية . . أنا أهم منك
- وأنا أكتب روشتات طبية أنا أهم منكما
- وأنا أكتب أسمى المواثيق . . ميثاق الزواج . . أنا الأهم
- لا نتحدث عن الوظائف الكتابية . . نتحدث عن الكتابة . . لماذا تكتب ؟
- ولماذا لا أكتب ؟
- مجرد خواطر لا أعرف لها هدفًا
- لا يجب أن يكون للكتابة هدف

- بل يجب أن يكون للكتابة هدف
- أحب أن أكتب كلامًا مسليًا
- وأنا أكتب من أجل أن تترجم أعمالي إلى لغات العالم
- تعنى المزيد من الشهرة و المال
- أحب أن تكون كتاباتي مثيرة
- وأنا أكتب لحبيبتي أشهى كلمات الغرام
- وأنا أكتب لابني خطابًا تربويًا
- أصنف موسوعة وقاموسًا ومعجمًا لغويًا
- وأنا أرسل برقية عزاء لخالي
- و أنا أشتكى الغلاء . . . بكلام ليس له معنى

(انتهى)

استحمام

استهلال سوف أستحم الآن.. لكن الجو بارد جداً والسخان له عشر دقائق حتى يبدأ تأثيره على الماء

ودفتر الحضور لن ينتظرني.. يجب أن أستحم.. أن يلمس جلدي المياه الباردة الآن..

فلأوزع المياه على أطرافي وشعري ومناطق أخرى غير ظاهرة من جسدي كي يتأقلم رويداً مع البرودة...

كان سكان (جنوة) يعتبرون الاستحمام أحد وسائل نشر (الطاعون).. لأن مسام الجلد تفتح، مما يتيح (للموت الأسود) فرصة الدخول؛ وهكذا كانوا يسهمون في نشر المرض بالمزيد من (الوساخة).

لكني سأستحم.. فقط لو يؤثر هذا السخان الكسول على المياه لما اضطررت لاحتمال هذه اللسعات القوية..

أقسم لي أحد الأصدقاء أنه يستحم يوميًا في الصباح بالماء البارد وأنه لا يشعر بالنشاط في يومه إلا إذا بدأ بهذا الفاصل الذي سميته حينها: فاصل تعذيبي..

الوقت يتفلت مثل المياه في البالوعة.. ألم يعتبر (بيتهوفن) الموسيقار (الأطرش) الاستحمام مجرد مضيعة للوقت وإهدار للماء..

و أنا أؤيده في مسألة الإهدار، وأحاول أن لا أهدر مياهًا.. أقف بكامل جسدي أسفل (الدش).. فأنتفض بسرعة وأذكر النصيحة الشهيرة..

بـأن لا أتعرض لهذه الانتفاضة لأنها تسبب جلطات القلب والدماغ . . لكن من يهتم الآن بهذه السفسطة الطبية أو الفيزيائية . .

كرأي (أينشتاين) أن الاستحمام عملية فيزيائية بحتة يتم فيها تغيير درجة حرارة الجسم وذلك في مكان محدد وزمان غير محدد . .

أمـا أنـا - ببساطة - أنهيت استحمامي المنعش إذ كان لزامًا عليّ أن أستحم . . بعد هذه الليلة الرائعة . .

(انتهى)

أجمل ما في الماضي

ـ أحب أن ألغي المؤثرات الخارجية . .

أجمل ما في الماضي

نجحت عبارة (مؤثرات خارجية) في إثارة تساؤل الجالسين . .

وسكتُّ قليلاً لإثارة المزيد من الفضول وأنا أطالع برأسي سواد السماء يلتحم مع سواد البحر فيكاد الخط الواصل بينهما لا يظهر لولا وجود النجوم وتوزيعات التبانة الزاهية لعجزنا عن التفريق فعليًا بين صفحة السماء وصفحة البحر . .

رهبة غريبة تسيطر عليّ حين يمتصني مشهد البحر ليلاً . .

وخصوصًا في مثل هذه الليالي الشديدة الحلكة ، حيث لا قمر إطلاقًا وإنما ضوء النجوم الخافت وبضعة مصابيح فاترة تبدو ضعيفة جداً . . تتكسر أشعتها أمام أمواج الشاطئ الصغيرة على بعد متر أو مترين على الأكثر . .

لكن الرهبة كانت أقل في هذه الجلسة . . حين اندمجنا ـ بضعة أصدقاء ـ في الحوار وتابعت كلامي عن رهبة البحر الجميلة في ظل النجوم مع استبعاد البدر تمامًا . . ومجيبًا على نظراتهم المستفهمة :

ـ كأني أطير بين النجوم أو أسبح في الهواء معها . . حين أضطجع على ظهري فوق سطح المنزل في بيتنا الريفي ذي الطوابق الثلاثة فلا أرى سوى صفحة السماء وألغى من مستوى نظري جميع الأسطح الأخرى وخصوصًا

حين يكون النور (مقطوع) فتنمحي أعمدة الإنارة الغبية والمصابيح المتطوعة على شرفات المنازل . .

ـ تعني إلغاء جميع مؤثرات العصر الحديث . . فكأنك عدت في الزمن إلى ما قبل اختراع الكهرباء . .

ـ لكن الكهرباء لا تنقطع الآن في الريف إلا نادراً . .

ـ نعم . . ولكني أتحدث عن مراهقتي، حين كانت أوقات انقطاع الكهرباء أكثر من أوقات بقائها . .

ـ وأنا معك في مسألة العودة في الزمن . . ربما كان هذا الإحساس بالصفاء لأنك تتحرر من قيود المكان حين لا ترى في مجال نظرك سوى السماء، ومن قيود الزمان حين لا يذكرك شيء بفواصلك الزمنية . .

ـ لكن ماذا عنكم؟؟ . . . قل لي . . هل شعرت بشيء كهذا من قبل؟

ـ بالطبع . . الإحساس بالتحرر الرائع حين تقف على حافة المركب ولا ترى سوى المياه والسماء كأنك طائر بحري . .

ـ أما أنا فأنظر إلى الصحراء الجرداء وآثار أقدام الحيوانات الصحراوية والحشرات والزواحف مع استبعاد المؤثرات المزعجة كأني عدت في الزمن مئات السنين . .

ـ تقصد علامات المدنية الحديثة . .

ـ أجل . . كآثار عجلة سيارة أو قمامة من البلاستيك والورق أو آثار أقدام حذاء رياضي أو حتى طريق إسفلتي معبد . .

ـ وهـذا مـا نقـوم بـه في رحـلات السفاري . . وكلما قل الاعتماد على الأجهـزة الحديثة كانت الرحلة أكثر متعة وتشويقًا . . إننا نستحضر الماضي وكأننا عدنا في الزمن . .

ـ أسـتطيع أنـا ـ بـسهولة ـ أن أستحـضر هذا الشعور معكم الآن . . لو تخـيلت نفـسي وسط الحقول الخضراء الممتدة في صفاء ونعومة بشرط . . أن ألغـى أسـلاك الكهـرباء والعـربات علـى الطـريق وشـريط القطار والبيت الأسمـنتي الـذي يشوه المنظر مثل بثرة في وجه جميل . . و مكنة الري الحديثة بـصوتها المـنتظم المـزعج ومكـنة درس القمـح والجرارات الحديدية الثقيلة وماكينة الطحين المزعجة وحتى أنابيب الغاز الضخمة التي تعبر فوق الترعة مـشوهة منظـرها القـديم . . تخـيلوا معـي امـتداد الحقـول الخضراء ـ بدون مؤثرات مزعجة ـ مع خط السماء الأزرق . . كأني عدت في الزمن . .

ـ لاحظـت تكرارك لكلمة (صوت مزعج) وأنا أوافقك أننا في استبعادنا للمؤثرات نسينا المؤثرات السمعية . . فلو قطع علينا صوت نفير سيارة عالٍ كهذا الذي مر خلفنا الآن . . سوف نعود فوراً إلى أرض الواقع . .

ـ أنا أوافقك ؛ ومن أجل هذا أتينا إلى المصيف نحاول أن نستبعد في مكان هادئ كل هذه المؤثرات المزعجة . .

ـ لكن لماذا تعقدون الأمور؟؟!! أنا ببساطة أستطيع الشعور بالعودة في الزمن حين أدلف إلى متحف أثري أو معبد قديم . .

ـ ربمـا . . لكـني لا أوافقـك كـثيرا ؛ لأن المتحف سوف يحدد السيوف

والأواني في فاترينات عرض تحت كاميرات مراقبة في ممر فاخر . . كلها أشياء تبعدك تمامًا عن الجو التاريخي.

ـ حقًا . . . إن المتاحف أشبه بأجزاء مجمدة من الزمن تم حفظها في أمتار محدودة فهي تأتى بأجزاء من الماضي إلينا، لكنها لا تعود بنا إلى الماضي . .

ـ هذه نظرة سفسطائية . . لكني معك في أن الواجب أن تتخلص المتاحف من جميع المؤثرات بحيث نشعر داخلها أننا انتقلنا في الزمن فعلاً . .

ـ هذا هو ما يحدث في المحميات الطبيعية عوضًا عن حدائق الحيوانات التقليدية . .

ـ نعم . .

ـ صحيح . .

ـ أما أنا يكفيني أن أنظر للشيخ عباس شيخ الجامع الكبير بلحيته البيضاء العظيمة وهامته الطويلة رغم كبر سنه وتجاعيد وجهه المحببة التي تحمل ابتسامة دائمة واهتزازه وهو يتلو آيات من الذكر الحكيم . . كأنه أخذني إلى عصور الخلفاء . .

ـ سمعت تشبيهًا مثل هذا لأحد العلماء كان يمدح شيخه فقال لو نظرت له لقلت سقط سهوًا من حقبة التاريخ فجاءنا بعلمه من عصر التابعين . . .

ـ لكن حتى هذا التشبيه استبعد المؤثرات الخارجية . .

ـ ماذا تعني؟!

- أعني أن الشيخ الكبير لا يرتدى ملابس حديثة . .

- أتـدري؟ إن قطـار بلدتنا مازال يعود بي في الزمن كأنني مع (إستيفن) مخترع القاطرة . .

- أنـا يكفـيني أن أتأمـل عظام (الجاموسة) البارزة رغم كبر حجم بطنها وعظـم حجمهـا الكلـى . . وأتخيلها حيوانًا يتهادى أمامي قادمًا من فترة ما قبلَ التاريخ . .

إن الجاموسة تعود بي آلاف السنين . .

ضحكنا من عبارته الأخيرة ، لكن أحدنا واصل الحديث رافعًا رأسه إلى النجوم مرة أخرى وكأنه لا يكلمنا نحن :

- أما أنا فحين تداعبني زوجتي ، أشعر أنى أمير الزمان . . الحاكم بأمر الله . . وهى جاريتي المطيعة . .

- هيييه . . . أين ذهبت . .

- لا تنس أن بيننا رجالاً عزابًا وهذا الكلام يخدعهم . .

تعالت الضحكات مرة أخرى ، لكني واجهته قائلاً :

- كـيف تستبعد المؤثرات المزعجة بحيث تشعر أنك عدت في الزمن حال مداعبتك لزوجتك؟

- أنـا لا أسـتبعد شـيء . . بل أستمتع بكل المؤثرات المحيطة والأطعمة الحديثة والإضـاءة وكافة الأجهزة الحديثة . . . .

أنا لا أحتاج أن أنفصل عن زمني كي أشعر بالمتعة . .

ـ إذن مثالك هذا فاسد . . نحن نتحدث عن الانفصال عن الزمن . . عن متعة أن تكون في الماضي . .

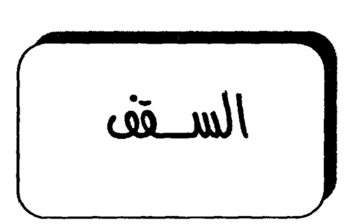
واجهنا بعينه هذه المرة وقال في هدوء :

ـ أنا لا أؤمن بهذا . . إن الحاضر هو أجمل شيء . .

و إذا كان في الماضي شيء جميل فهو ببساطة . . .

. . . . . أنه . . . . لا يعود . . . . .

(انتهى)


السقف

السقف حين وصلت لارتفاع يتجاوز العمارات الشاهقة تحتي بضعف طولها تقريبًا، قررت أن لا أرتفع أكثر . .

فوجدت سقفًا ظهر فوقي فجأة . .

أرتطم به كل حين . .

ويضايقني جدًا .

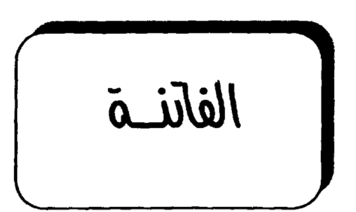
تعجبت . . لماذا صنعت لتحليقي سقفًا ؟!

وقررت أن ألغيه . .

وعند أول فرصة تجاوزته من فتحة فيه . .

وواصلت التحليق .

(انتهى)


الفاتنـة

الفاتنة تخـرج الـصندل بكعـبه العالي من علبته الأنيقة وتنحني في رشـاقة لتـستقر قـدمها اليـسرى داخلـه . . ثـم قدمها اليمنى وبأصـابع يـدها البيـضاء الرشـيقة تلـف جزء الصندل العلوي الرفيع حول أعلى كعبها وتربطه برقة ثم تعود للقدم اليسرى فتربطها بنفس الطريقة . .

هكـذا أكملت ارتداء ملابسها ، وصوت التلفاز لا يزعجها وإنما يعمل كخلفـية مـسلية وكـأن عـدة أشـخاص يتكلمون معها في الحجرة . . لكنها تنتبه للتلفاز وتغير عدة قنوات فلا يستهويها شيء حتى تستقر ـ دون قصد ـ عند قناة وثائقية . .

فـتخفض الـصوت وتقف ثم تمشي فتدل بخطواتها مراقبة فتحة الفستان القـصير الـتي تـرتفع خلـف الـركبة بعدة سنتيمترات وتجلس على الأريكة واضـعة سـاقًا فـوق سـاق ثم تفتح الأزرار الجانبية لفستانها الخفيف فينزلق فوق جلدها المشدود في بساطة بحيث يكاد صدرها أن يظهر كله . .

وبحـركة شـبه عنـيفة كقطـة شرسـة تنفض رأسها فجأة للخلف فيتبعثر شـعرها الفـاحم الطـويل في عـدة اتجاهـات لكـن نعومته الفائقة تجبره على العـودة والاسـتقرار بعـد أن توزع على كتفيها وأجزاء من جبهتها الواسعة ونحرها وأعلى صدرها وأغلبه ـ بالطبع ـ على ظهرها . .

تـشرب عـصيرها الـبارد حتـى الثمالة ثم تعود كي تقف وتغير كل هذه الملابـس وترتدي زيا آخر كاملاً وهي تراقب أجزاء جسدها التي تكاد تقفز مـن ملابـسها الضيقة من خلال مرآتها الطويلة ثم تجلس على السرير الوثير

هـذه المـرة وقـد رفعـت رجلـيها وفردتهما تماما واضعة ساقًا فوق ساق مرة أخرى، رافعة ذراعها الأيمن خلف رأسها وكأنها تدلك رقبتها من الخلف، ومن زاويتها هذه راقبت نفسها في المرآة لترى القميص الخفيف الذي ترتديه يظهر أكثر بكثير مما يخفي من جسدها المثير . .

ثـم تتثاءب وتغير قنوات التلفاز كي تعود تلقائيًا للقناة الوثائقية دون أن تركز فعليًا في كلمة مما يقال . .

وإنما تتجه للدولاب وتغير ثيابها عدة مرات . .

وفي كل مرة تجلس بطريقة مختلفة بضع دقائق ثم تعاود الكرّة . .

كـان اختـيارها للألـوان رائعًا ساعدها على ذلك الدولاب المليء بشتى أنـواع الفـساتين والجيـبات وقمـصان الـنوم مـن الحريـر الطبيعـى المطـرز والـبلوزات والعـباءات تفـوح مـنها رائحـة عطور (الشانيل) و (الكلويه) بخـلاف البورنيطات والشرابات و باقي الإكسسوارات من الذهـب الأبيض وفصوص الألماس البراقة . . .

أمـا الجـزامة فامـتلأت بأشـكال الأحذيـة والـصنادل والـشباشب والسابوهات وأحذية الرقبة (إيف سان لوران) نصفها على الأقل جديد أو لم يلبس إلا في المنزل . .

كانـت تنظر للمرآة وتبتسم في ثقة؛ فما زال العمر طويلاً أمامهـا، وهى ـ بهذا الثراء والجمال ـ لم تبلغ الأربعين بعد . .

كما أن عملها يؤمن لها دخلاً بضعة آلاف (يورو) شهريًا . .

لماذا الاستعجال في الزواج؟

وفي المرآة تلمح امرأة تصرخ فتشد عينيها لتلتفت إلى الشاشة التي لا تظهر سوى وجه المرأة. . لكنه وجه يلخص معاني الإصرار والقوة والجمال. .

فهي شابة صغيرة لا تتجاوز من شكلها. . الخامسة والعشرين. .

ويثيرها منظر هذه المرأة/ الفتاة ذات الحجاب الأسود الذي يلف وجهها كأنه بدر زادته ظلمة الليل بريقًا وجمالاً. .

فترفع صوت التلفاز لتسمعها تقول:

- مات لى ابن. . نعم. . . لكن لي خمسة آخرين. .

ثم يبتعد كادر التصوير عنها فيظهر باقي جسدها الرشيق في جلباب

رفضته هي وأهلها أجمعون دون حتى أن يروه؛ لأنها صغيرة على الزواج . .

تشعر باختناق تعبر عنه بأن تقبض بيديها الجميلتين على الجزء العلوي من القميص الرقيق الشفاف أسفل النحر وتشدهما للخارج بعنف فتشق القميص من أعلى لأسفل . .

(انتهى)

نكتة جديدة

نكتة جديدة

وقـف ثلاثـة خفافـيش ذوى جنسيات مختلفة على فرع شجرة جميز كبيرة . .

قال الأول الأمريكي :

ـ أنا جائع . .

وتـركهم وطـار محلقًـا . . ثـم عاد بعد قليل رأسه غارقًا بلون الدم . . فسألوه متلهفين :

ـ ماذا فعلت ؟

فأجاب بفخر و هو يشير بجناحه إلى دجاجة رومية ميتة :

ـ أترون هذه الدجاجة ؟

فقالوا : ـ نعم نراها

قال : ـ لقد مصصت دمها . .

وهكـذا فعـل الخفـاش الألمانـي ، لكـنه عاد وقد غرق رأسه وجزء من صدره بالدم

فسألوه :

ـ ماذا فعلت ؟

ـ أترون هذه البقرة الميتة ؟

ـ نعم نراها . .

ـ أما أنا فمصصت دمها . .

ثـم ذهـب الخفاش المصري وقد أثارته الغيرة من زميليه وعاد بعد وقت طويل غارقًا كله في الدماء فسألوه متلهفين : ماذا فعلت ؟

أجاب بفخر :

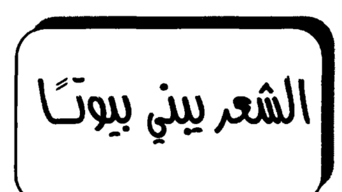
ـ أترون هذه العمارة هناك ؟

مشيرًا إلى برج عظيم . .

ـ نعم نراها . .

ـ أما أنا . . . فلم أرها . . .

(انتهى)


الشعر يبني بيوتًا

الشعر
يبني بيوتًا

حب تقلب يا بشر ... كشعاع ضوء ينتشر
كتسيم عين فارغة ... أو طيف ضب يحتضر

وهكذا من الكلمات المبتذلة التي لا تمت للشعر بأوزانه وقواعده وصفاته المعروفة منذ (الفراهيدى) ومن كانوا قبله بأية صلة . . .

وأنا أنظر إلى ما كتبته طوال فترة المراهقة والدراسة الجامعية إلى أن أصبحت مدرسًا بمركز بحوث الفضاء (الروسي) . .

وأنقل نظري إلى مكتبتي العلمية الهائلة التي تحفل بكنوز علم غامضة . . لا يفهم جُلها سوى قلة على مستوى العالم . .

أسرار الجاذبية المعقدة . . لا أتحدث عن جاذبية نيوتن القديمة . . ولا نسبية أينشتين البائدة . . وإنما عن نظريات الفوضى للنشائي وما تلاها من قوانين للفوضى المنتظمة وغير المنتظمة غيرت فهم العالم لظواهره الطبيعية . .

فمن المعروف أن أية نظرية يثبت صحة قوانينها إذا نجحت في تفسير الظواهر الطبيعية . . وتعجز عن تفسير أشياء ، ، فتأتي نظرية أخرى أشمل تفسر ما نجحت الأولى في تفسيره وما فشلت أيضًا في تفسيره لكنها تقف بعد ذلك أمام معضلات أخرى فتأتي نظرية جديدة لتفسر كل شيء ويقف أمامها شيء جديد وهكذا . .

العلم ينمو بالتقادم . .

نظـريات وقـوانين ومعـادلات لـن أدعـي أنـي أضـفت لها مثل عظماء العلمـاء لكني على الأقل أفهمها وأجيد التعامل بها . . وعلى استعداد تام لتقبل الأحدث دائمًا . .

و أقلـب أبـيات الـشعر القديمة وتصطدم برأسي صور كاملة للمعلقات علـى هيـئة أوراق طـويلة طول الواحدة عدة أمتار معلقة بسوق عكاظ . . منقوشـة بمـياه الـذهب ، يقرؤها العرب والعجم . . ألم يكن عكاظ أوسع الصحف المتخصصة انتشارًا في العالم في هذا العصر؟! .

ترى لو تحدثت معهم عن قوانين تحكم الفوضى غير المنظمة فأتنبأ بحركة أي كوكب بأي كتلة وفى أي زمن . .

هل كنت سأجد من يصدق أني إنسان عاقل؟!

وأرى بين أرفف المكتبة الأدبية التي تحوى نصف كتبها شعرًا . . غلافين غليظين نقش عليهما :

الشوقيات (١)، (٢)

فأتـنهد وأنـا أسـتعيد بـسرعة كـل مـن كتب عن الخمريات وأيام الصبا والغزل العفيف والصريح التي طالما حفظت منها وكررتها . .

فأشـعر بنشوة عجيبة . . ربما لأني أتذكر أشياء ارتبطت في ذهني بعدم المـسئولية أو قلـة المتطلبات حين كان كل ما في الحياة مثالي والهدف واضح جدا لا يحتمل التأويل . .

أن أحصل على أكبر مجموع في دراستي . . فقط . .

حتى كلمات الحب الكثيرة التي قلتها لم تتجاوز غرفة المذاكرة ، أما حبيبتي الأولى فقد تزوجت وأنجبت وأنا طالب بالمدرسة . .

وأحول نظري في الكتب فيصطدم بمرجع ضخم تأليف زميلي البروفيسير (إيفانوفيتش) الذي اختلفت معه حول فضل الأدب عامة والشعر خاصة على العلم . .

كان الرجل واضحًا وصارمًا للغاية . .

فرأيه أن لا قيمة لكل هذه الأشياء التافهة . .

- العلم والعلم وحده هو الشيء المفيد . .

- لكن الأدب بفنونه . . علم . .

- أنت تفهم ما أعنى . . العلم البحت . . النظريات والقوانين والتطبيقات الديناميكية . .

هل ستأكل رواية على الغداء اليوم؟ . . هل ستأتي للعمل راكبًا قصة قصيرة؟ أم ستسكن في بيت من الشعر؟

هل صعدنا إلى القمر بالميلودراما والكوميديا السوداء؟

- إن استخدامك - عزيزي - للألفاظ الأدبية يوضح أنك بها عالم . . ولها متابع وقارئ . .

ـ أنـا لا أنكـر أنـي مررت عليها أثناء دراستي الأولية مرور الكرام . . لكن هذا لا يعطيها أهمية تذكر . . فضلاً عن أن تقارنها بالعلم الحقيقي .

لـم أدافـع في الحـوار كـثيرًا عـن الشـعر وفنـون الأدب الأخــرى لأني ـ بـصراحة ـ كنت مقتنعًا إلى حد ما بكلامه . . ولا شك أن تاريخ الأمم لا يربط بين النضوج الأدبي والتقدم العلمي التقني . .

أنـا لـم أر في القـرن الماضي أية قصيدة يابانية أو أمريكية أو روسية مثل المعلقات . .

لكنـي . . رغـم ذلـك . . أجـد شـيئًا يـدفعني إلى تـرك العمل العلمي البحت في أوقات عزيزة . .

أذهـب فـيها إلى الركن الأيمن الأدبي من مملكة كتبي . . ؛ كي أختطف ديوانًا كيفما يجيء . .

وهكـذا فعلـت الآن . . ومن عجب أني طالعت أول ما فتحت الديوان شطرًا عن العلم يقول : . .

العلم يبني بيوتًا لا عماد لها ..

(انتهى)

ستون عامًا على النكبة

{معالجة قصصية للقصيدة (التميمية) الشهيرة (في القدس)}

ستون عامًا على النكبة

يكفيك من القدس زيارة واحدة كي تنطبع تفاصيلها في قشرة مخك مختلطة ببعض الأحزان فلا تفارقها . .

حدثت نفسي أن لا أحزن لعدم تمكننا من اجتياز السور

. . فربما زادتني زيارة القدس همًا . . إذا طالعتني منكرات أعجز عن منعها

أرى الآن تداعيات من هذه القشرة شكّلت لذاكرتي تاريخًا ينبض ويتجدد كلما مررت بها . .

وتسير الصور أمامي كأن السور الأملس قد استحال إلى شاشة (سينما) عملاقة أو كأني رزقت عيونًا خارقة أستطيع بها أن أرى ببساطة كل ما يكمن هناك . . خلف السور . .

هذا هو سوق القدس يعج بالحركة المغلفة بالحنين والحب الصادق والتي يشوبها الحذر والكثير من مشاعر العدوان المتطفل كالدودة السوداء التي لا تحيا إلا على دماء الأصحاء . .

أتحدث مع بائع (الخضرة) الذي افترش صخرة عريضة عطنة فأجده مشغولاً بزوجته وقضاء أجازته وطلاء البيت . .

أحول عنه نظري إلى كهل لابد أنه قادم من (منهاتن) العليا وقد تحلق

حوله فتية (البولون) يفقههم ويعلمهم. .

ثـم يـصدمني منظـر شـرطي ناعـق ترجع أصوله إلى الأحباش. . يسد شارعًا جانبيًا من السوق. . ويحمل ببسالة رشاشًا يوقف به مستوطنًا لم يبلغ العشرين. .

لكن المنظر لتكراره لم يعد يستفز أحدًا من رواد السوق.

أحول نظري ناحية حائط البراق. . فلا أكاد أتبينه من بين هذه القبعات السوداء العريضة ولا أكاد أميز صوت تلاوة مباركة وإنما خليط من أصوات البوم والغربان والحمر الوحشية. .

ثمـة بـضعة سـائحين يـسيرون كـأنهم في (ديزني لاند) يلتقطون الصور بجوار امرأة تبيع (الفجل)

وكأنهم يحتضنون (ميكي ماوس) الفأر الأمريكي الشهير. .

مـرة أخـرى يصدمني مشهد بضعة جنود لا حاجة للمكان بهم، يدبون على الأرض بغباء تكتيكي منتظم. .

لقـد حـان موعد الصلاة. . لكن ـ والحمد لله ـ امتلأت جنبات المسجد فصليت مع بعض الخلق على الأسفلت. .

ثم برز ذلك الشيخ بلحيته البيضاء الكثة. . كأنه التاريخ متجسدًا أمامي بصوت لا تملك معه إلا أن تستجيب له وتصدقه وتعظمه وأن. . تحبه. .

ابتـسم الشيخ بعد أن صافحني وأخبرني ببساطة أن لا أحاول منع عيني

مـن أن تعـبّ مـن جنـبات القدس فهي جزء منك وأنت منها جزء . . تمامًا كأنها متن نص كتاب أنت حاشيةٌ له . .

فسألته متعجبًا : أتعنى يا شيخي المبجل أنى أشكل بحجمي هذا جزءاً من القدس؟

فتابع الشيخ وكأنه لم يسمع سؤالي : امش بين جنباتها . . واسأل أهلها . . واسأل ذلك الهلال . .

مشيراً إلى هلال بدا واضحًا في السماء، لدهشتي، رغم انتصاف النهار . .

أو اسأل أشباهه فوق قباب الأقصى . . كأنه أب يحدب على أبنائه . .

أو أقول لك . . وأمسك بحجارة بدت شاردة على الأسفلت وحملها لمستوى نظره وقال: اسأل هذه الحجارة . .

وكأنه أحس أن كلامه مبهم أو أنه يعطي أسئلة لا إجابات واضحة . . فقد أجاب بنفسه . .

هذه الحجارة هي اللبنة التي بنيت منها هذه الأبنية . .

ثم اكتفى بهذه الإجابة . . حين قطع علينا مشهد طفل يقذف بحجر شيئًا كبيراً له رائحة كريهة . . فيفجره الحجر كبالون ممتلئ بالماء الملون . .

عادت ابتسامة الشيخ وكأن ما فعله الطفل أمرًا عاديًا يحدث كل دقيقة . . واصطحبني مبتعدًا عن هذه الرائحة الكريهة إلى حيث مواطن الجمال داخل الأبنية العتيقة . . .

فأراني أعمدة الرخام الداكنات كأن الدخان يرسمها . . أما النوافذ التي تعلو جنبات المسجد فلا تسمح لأشعة النهار بالدخول إلا بقدر معلوم . . فترسم الأشعة في الهواء أشكالاً . . وعلى الأرض زخارف ذهبية . . تنافس تلك المنقوشة على الجدران . . لكن شعاعًا قد يفلت من إحكام هذه النوافذ كي يقتنص لنفسه مكانًا على نقوش الزمن . . ؛ فيشير الشيخ إليه وابتسامته لم تفارقه : انظر . . شرف كبير لهذا الشعاع . . فهو حر خارج المسجد . . لكن إن أراد الدخول فعليه أن يرضى بحكم نوافذ الرحمن . .

وكالمرشد السياحي اصطحبني شيخي الحبيب إلى مدرسة عرّفها بأنها لمملوك أتى مما وراء النهر باعوه بسوق نخاسة في أصفهان فنزح إلى حلب ثم خاف أميرها من زرقة في عينه اليسرى فتخلص منه لقافلة أتت مصر فأصبح بعد بضع سنين قاهر المغول وصاحب السلطان . .

انتقلنا بعدها إلى خان الزيت حيث عبقت أنفى برائحة البخور الهندي الزكية والبهارات البابلية والعطور والزيوت والأخلاط . . ودكاكين العطارة تمتد أمامي لفرط تكدس بضاعتها كأنها تحتضن بعضها . . ملخصةً حضارة بابل في رائحتها العتيقة . .

يخبرني الرجل أن أستمع إلى تلك الرائحة . . وقبل أن أتعجب من تعبيره يصدمنا المشهد الجميل بالكثير من الغاز المسيل للدموع وبعض الحركات العشوائية التي ربما أثارت توتري . . لكني من وسط الغاز أشم بوضوح رائحة العطار الزكية التي لا تلبث أن تمحو الغاز تمامًا . .

الآن أفهم لغتها . .

ومرورًا بسوق الملابس أرى العباد يقلبون قطع القماش القديمة والجديدة فأجد لها ملمسًا عجيبًا . . و أرى امرأة عجوز بلغت من العمر مبلغًا فأقبل جلدها الأبيض المشدود على ظهر يدها لتضع هي يدي فوق الحجارة ولا أميز من كلماتها سوى : . يا ابن الكرام . .

لأن شيخي يستأذنها ويشير إلى الجو بيده فأرفع رأسي لأرى منظرًا رائعًا للحمام . يطير في الجو ويرفرف سعيدًا وكأن الرصاص الذي يطلق عليه الآن مجرد ألعاب ضوئية تزيده احتفالاً وبهجة . .

ثم انتقل بي الشيخ إلى منطقة القبور . .

السلام عليكم أهل الديار المؤمنين . .

ولأول مرة أراه يقطب جبينه قليلاً . . وكأن للقبور رهبة ويقول : ليسوا كلهم مؤمنين يا بنى . .

فالكل مروا من هنا . .

وننزل بين القبور كي أقرأ الشواهد الكثيرة التي ملأت المدى فأجد جميع لغات أهل الأرض

. . أجد الزنج والإفرنج والقفجاق والصقلاب والبشناق والتتار والأتراك . . وأرى للمسلمين قبورًا جماعية فأواصل : أنتم السابقون . .

وكأن الكلمة أعادتني للحياة . . لأني أشعر باهتزازة السيارة . . وأرى

القـدس في مـرآة الـيمين من خلف الأسوار . . فتكاد دمعتي تنزلق . . لكن صـوت الـشيخ يـرن في أذنـي . . وابتسامته تنتقل إليّ . . حين يتردد صدى قوله :

القدس جزء منك . . وأنت منها جزء . .

(لم تنته بعد . . . .)


براءة

براءة

نظر من الشباك الذي يواجهني . .

فرأيته يميل بشدة برأسه إلى أسفل . .

وكأنه مصمم على أن يقع من الطابق الثالث . .

لكـن عـضلات ظهـره الـصغيرة تنتصر و تعيده إلى وضع الانتصاب ، فـيواجهني بـوجهه الـصغير الـذي يحمـل من الشقاوة والذكاء أضعاف ما يحمله من البراءة . .

ثم يرتفع صوته الرفيع مناديا عليَّ . . فألتفت إليه بعد أن كنت ابتعدت قليلاً . .

كي يسألني عن ما أبيعه . .

أشير إلى العربة هاتفًا ببطء :

ـ عسل . . يا . . . بطاا . . طا . . .

ـ فيرد عليَّ بسرعة

ـ اشربها

(انتهى)

حب غير عذري

حب غير عذري

إحساس رائع أن تكون لي حبيبة . . كهذه . .

الحب غير العذري أعني . .

أنا لا أؤمن أساسًا بالحب العذري الذي يحب فيه العاشق صفات محبوبته النفسية وشفافية روحها وذكاءها المتوقد وأنه لا يلتفت إطلاقا لأردافها . .

ما الفرق إذن بين حبيبة هذا المدعى وبين صديقه ذي الشارب الكث الذي يعمل محررًا بقسم (إبداعات) ويمتلك نفس هذه المواهب النفسية؟!

أما أنا فأضيف إلى هذه الأشياء الانجذاب الشكلي . .

ولا أنكر أن الانجذاب الشكلي مسألة نسبية تمامًا . . لكنه مع هذه الفتاة . . انجذاب شكلي على مستوى فائق . .

أما حين نتحدث فأنا ألمح تشابهًا كبيرًا في الرؤى والأفكار؛ فأزداد لها قربًا وبها حبًا . .

مشكلتي أني ـ رغم مرور شهر كامل على الخطوبة ـ لم أتأكد من هيامها بي بنفس القدر . .

وأنا رجل عقلاني لأبعد حد . .

لن أرتبط بمن أحبها بشدة بينما تشعر هي نحوي بأني أمر طبيعي . .

مجرد رجل آخر . . أصبح لها زوجًا لا بأس به . .

لا . . . أنا لن أبالغ إذا قلت أني أريد أن لا ترى زوجتي في الدنيا سواي . .

بمعنى أن أكون أنا ملء نظرها . .

أن أبهرها قلبًا وقالبًا . .

ببساطة أريدها أن تعشقني كما سأفعل أنا . .

وفي بساطة سألتها ذلك اليوم . .

ـ لقد مر شهر بالتمام على إعلان خطبتنا . .

أريدك أن تجيبي عن سؤالي . .

وقبل أن أسألها . . ولا أدرى هل الصبُّ تفضحه عيونه فعلاً . . قاطعتني . . قائلة دون أن أسأل :

ـ أنا . . . . أحبك . .

. . . .

ما كل هذا الكم من المشاكل؟

مر عام على زواجنا و معه الكثير من الأحداث ، لو استمرت الحياة بيننا على هذا المنوال فسيتم الطلاق في أقرب فرصة

. . . .

ملحوظة هامة : اكتشفت بعد فترة وجيزة أنها لم تكن بكل هذا الجمال ـ الشكلي ـ الذي كنت أعتقده .

(انتهى)

قبر صلاح الدين

قبر
صلاح الدين

أراد أن يبول فوق قبر صلاح الدين

و حين كشف عن سوأته القبيحة . .

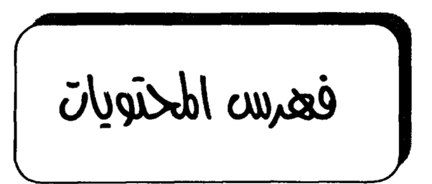
تعطل جهازه العصبي (السيمبثاوي) للحظات . .

فارتخت عضلات المثانة تمامًا . .

و . . . .

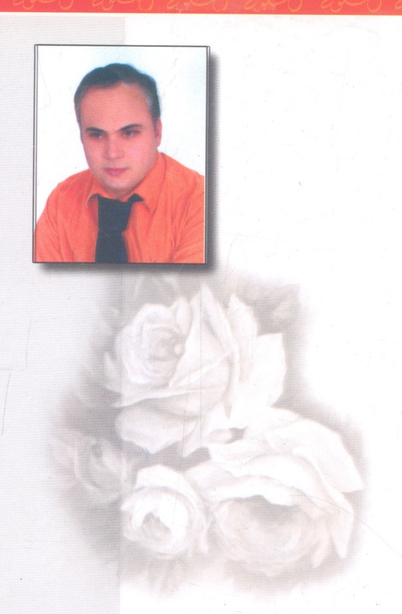
بال على نفسه . .

(انتهى)


فهرس المحتويات

المجموعة القصصية : (صعود الوردة البيضاء)

.. تأليف د. حسام صبري



اقرأ فى هذا الكتاب:





ISBN 977-380-222-1

دار العلوم للنشر - القاهرة